الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

# تمثلات الفضاء في رواية "حورية في السجن" لمحمد شوقي

## -دراسة بسيكو نقدية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

***إعداد الطالبتين:***

***كنزة لوصيف***

***نزيهة حيمور***

***إشراف الأستاذة:***

***د. وهيبة جراح***

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

نتقدم بجزيل الشّكر وأسمى معاني الثّناء والتّقدير
إلى الأستاذة المشرفة علينا الدكتورة"وهيبة جراج" الّتي
كانت نعم السّند بنصحها وتسديد خطانا لانجاز هذا البحث
كما لا ننسى فضل كل من الأستاذ "خالد سوماني" و"حمزة بوزيدي"
اللّذان ساعدانا
على تخطّي الصّعوبات الّتي واجهتنا في سبيل تبليغ
رسالة العلم.
وإلى الأستاذة "سعاد بلحواش" الّتي تفضلت علينا بحضورها
في سبيل إنجاز
ومناقشة بحثنا المتواضع.
فكلّ الشّكر والثناء والاحترام لكم
كما لا ننسى التوجه بالتّحية الخاصة لكلّ الأساتذة والزملاء
مما قدّم لنا يد المساعدة
بجامعة عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -
شكرا للجميع وجزاكم اللّه خيرا

# إهداء

بسم الله الرّحمان الرّحيم، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين.

مني إليك

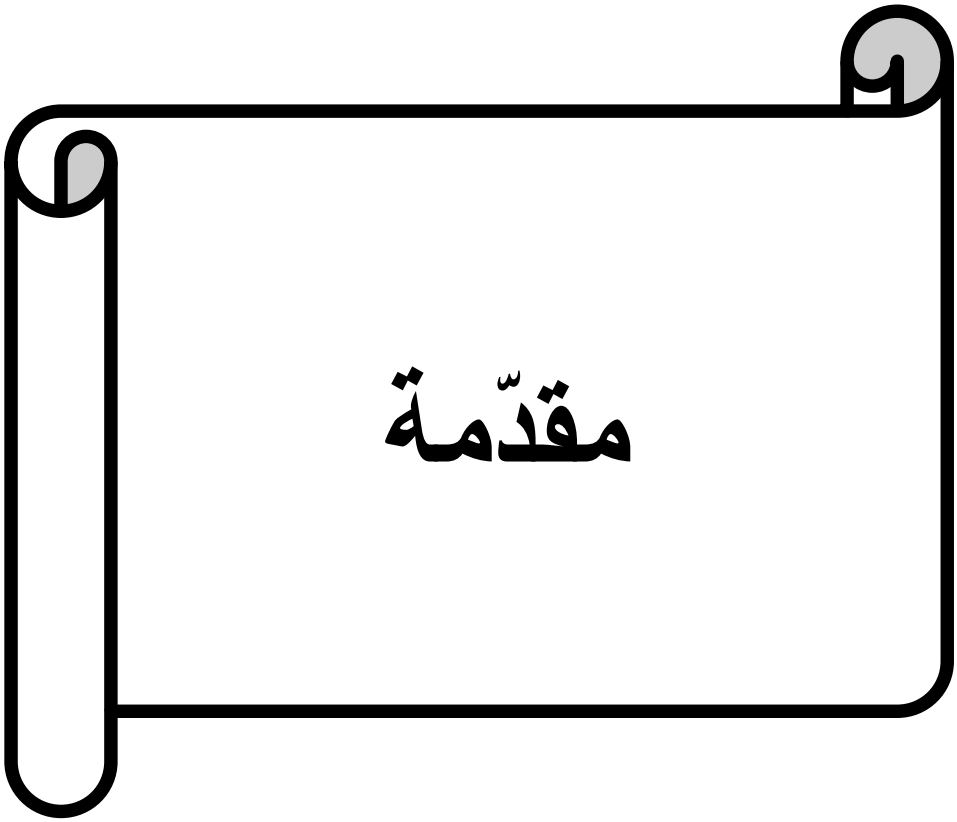
مقدّمة

إن الرواية السياسية من الروايات التي لاقت إقبالا من القراء، نظرا لكثرة الاضطرابات السياسية والاختلافات الإيديولوجية، مذهبية او حزبية ، التي عمت الأوطان مؤخرا حيث تناولت قضايا السجن والسجناء وبالأخص سجن اصحاب العقول الفطنة اي فئة المثقفين والإطارات السامية في المجتمع.

فكانت من اهمية بحثنا هي طرح قضية مُعاشة تمسّ الأوضاع الرّاهنة الّتي آلت إليها البلدان العربية، فأردنا كشف الحقائق السّياسية القامعة للشّعب ودور هذا الأخير وخاصة المثقفين منه في محاربة الأنظمة الفاسدة، ومحاولة تغييرها، وتنوير عقول الشّعوب بعدم تقبّل تعسف السلطة، بل مشاركتها في تقرير مصيره.

فنجد الكاتب محمد شوقي يصور لنا من خلال روايته أفكاره وتوجهاته الفكرية والحزبية محاولا إيصال صداه للعالمية، كما أنّ ارتباط الرّواية كجنس أدبي بالسّياسة كنظام قائم بذاته يجعلنا نغير نظرتنا التّقليدية بخصوص علاقة الفن بالسلطة، فالرواية السياسية تتميز بطرحها لقضايا تمس السلطة إمّا دفاعا عنها أو معارضة لها، من خلال خطابها الضمني؛ حيث أنّ هذا النّتاج السردي لا يختلف عن باقي الأجناس الأدبية من حيث عناصر تشكّله ومن بينها الفضاء؛ حيث يمثّل ذلك الإطار الزمكاني الّذي يتوسع إلى الأجواء العامة الّتي تؤطر أحداث الرّواية كمعطيات تاريخية أو اجتماعية، وله تمظهرات مختلفة فأحيانا نجده مفتوحا وتارة مغلقا، فكان السّجن فضاء مغلقا في دراستنا المعنونة بـ: "**تمثلات الفضاء في رواية حورية في السّجن لمحمد شوقي – دراسة بسيكونقدية**–"، حيث كان المعتقل نتيجة حتمية لأصحاب المعارضة السّياسية هؤلاء الّذين أرادوا بوعيهم تشكيل منعطف حاسم في تغيير مسار الوطن، لكن ردود الفعل الصادرة من قبل السلطة شلت حركاتهم في المطالبة بحقوقهم الشّرعية، وكانت أبلغ في المحافظة على تمركزها وتفنيد إدعاءاتهم الّتي تراها غير مشروعة، فزجتهم في السجون وجعلتهم في كفة واحدة مع أصحاب القضايا الجنائية، وهذا يعكس حقيقة الصّراع الحاد بينهما – السلطة والأصوات المعارضة – فكان هذا التّصادم من بين الأسباب الموضوعية الّتي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، بالإضافة إلى كون الرواية حديثة لم يسبق تحليلها من منظور نفسي، والرغبة في تبيان دور المعارضين في الدّفاع عن حقوقهم المشروعة، والسّعي لتسليط الضوء على جرائم الأنظمة الاضطهادية.

أمّا الأسباب الذّاتية فكانت في استحواذ الرواية على إعجابنا وتأثرنا بالقضية الّتي طرحتها، والّتي مزجت بين حقائق سياسية مريرة وعلاقة عاطفية حملت السّجين السّياسي لعالم الآمال ومواصلة الكفاح لنيل الحرية، لتكون بذلك إشكالية بحثنا كالآتي:

– ماهي أهمّ الآثار النّفسية الّتي خلّفتها ظاهرة السّجون في نفوس الأدباء؟ وكيف تجلت على مستوى خطاباتهم؟.

ومن بين الدّراسات السابقة الّتي كان لها الفضل علينا في تطرقنا لهذا النّوع من الدّراسات:

– علي منصوري: "**البطل السّجين في الرّواية العربية المعاصرة**"، وسكينة قدور: "**الحبسيات في الشعر العربي**".

فكان المصدر الوحيد الذي اعتمدنا عليه في بحثنا موسوما ب رواية "**حورية في السجن**" للكاتب محمد شوقي.

أمّا بخصوص أهمّ المراجع الّتي أفادتنا نذكر: واضح الصّمد في كتابه "**السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي**"، سعيد يقطين في كتابه "**الأدب والمؤسسة والسلطة نحو ممارسة جديدة**"، محمد داني "**الرواية السّجنية العربية**" عبد الرحيم حزل "**الكتابة والسجن حوارات ونصوص**",

وقد اعتمدنا على خطة بحث تتناول توطئة بعنوان: "النظام المصري وتمظهراته في النتاجات الأدبية"، تحدثنا فيه عن مفهوم الشعب والنظام، وخصصنا الحديث عن النّظام المصري كعينة من أنظمة البلدان العربية، وبعدها أشرنا إلى علاقة الأدب بالتحليل النفسي لننتقل إلى الفصل الأوّل الموسوم بـ: "السجن والكتابة"، خصصناه للحديث عن مفهوم السّجن، معنى السجين، مفهوم أدب السجون و سردياته ، خاصية الكتابة السجنية وعلاقة الأدب بالسّياسة، لننتقل إلى الفصل الثّاني المعنون بـ: دراسة نفسية تحليلية لنزلاء السجن في خضم ادب السجون، حيث حددنا الشخصيات البارزة في الرواية والعلاقة الّتي تربط بينهما، ومفارقة الفضاء المكاني في المعاناة شاهد أم متهم حيث استخرجنا الأدلة الّتي تُثبت المعاناة النّفسية لأصحاب الرأي السياسي داخل السّجن، وبعد ذلك قدّمنا بعض الحلول الإجرائيّة الّتي ينبغي على مؤسسات السّجون إتباعها مع المساجين، من ثمّة خاتمة طرحنا فيها بعض الاستنتاجات المتوصل إليها في هذه الدّراسة، مشيرين إلى قائمة المصادر والمراجع، معتمدين على المنهج النّفسي القائم على وصف و التحليل معاناة المعتقلين السّياسيين.

وكان هدفنا من هذا البحث هو تبليغ رسالة توعية إلى الشعوب بضرورة التمسك بحقوقهم في الحدود المشروع بها والبقاء في صمود امام بطش السلطات الظالمة، كما وقف اصحاب الرأي والثقافة بشموخ في وجه تيارها العاتم وتشبتوا بآرائهم ومعتقدهم وان لهم الحق في المطالبة بعيشة كريمة تحت لواء الحرية والديمقراطية.

اما إذا اردنا الحديث عن النكهة الجديدة التي اضفناها إلى بحثنا هو كسرنا للطابوهات السياسية المبنية على تخوف المرأة من اقتحام عالم السياسة، وظنها ان القضايا السياسية من حق العنصر الذكوري، وبهذا حاولنا تجاوز هذه الطقوس التقليدية التي يؤمن بها الكثير، وان المرأة لا تستطيع الولوج إلى هذا النوع من القضايا والذي قد يكون سببه ضعف فكري او تخوف من السلطة.

و كأيّ بحث علمي فقد واجهتنا صعوبات من بينها تزامن إنجاز هذا البحث مع وباء كورونا ممّا فرض علينا التّواصل عن بعد، وقلة المراجع بخصوص السّياسة الممنوعة من النشر أو الخاضعة لرقابة صارمة من طرف السلطات العربية، وفي الأخير نتوجه بالشّكر الجزيل للدكتورة المشرفة **وهيبة جراح** الّتي منحتنا فرصة تقديم هذا البحث.

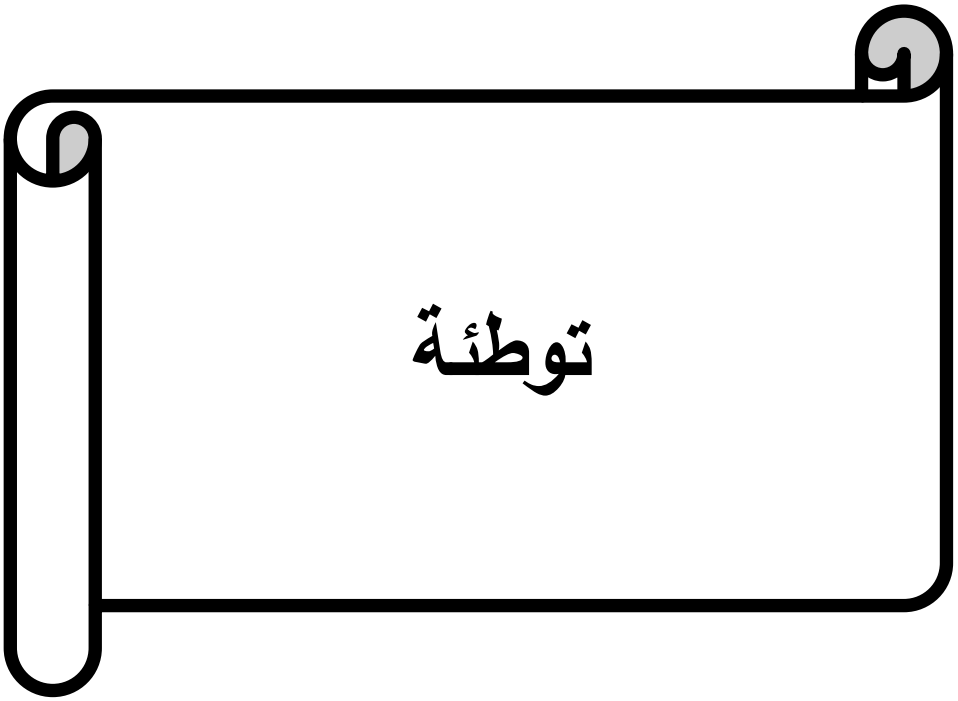
توطئة

# النّظام المصري وتمظهراته في النتاجات الأدبية.

**1-1مفهوم السياسة.**

**1-2معنى الشعب.**

**1-3لمحة عن النظام المصري.**

**1-4علاقة الأدب بالسياسة**

شهدت ولا تزال تشهد الدول العربية عدة انقلابات سياسية، أثرت على مختلف الأصعدة وعادة ما تكون هذه الانقلابات نتيجة تدخلات أجنبية في شؤون أنظمة البلدان العربية، كما قد يكون سببها التمرد الشعبي، هذا الأخير يكون تحصيل حاصل يختزل رغبة الشعب ويعبر عن مطالبه وحقوقه الّتي لا يراها مجسدة على أرض الواقع وذلك بفعل تقصير الدولة في حقه، وقبل السباحة في بحر النظام السياسي نقدم مفهوم بسيط عنه وعن الشعب:

أ- **النظام السياسي:** يقصد به: « أنظمة الحكم الّتي تسود دولة معينة، فيكون هناك ترادف بين تعبير النظم السّياسية والنظام الدستوري، ذلك القانون الّذي يتضمن مجموعة القواعد الّتي تتصل بنظام الحكم والّتي تنظم شكل الدّولة وطبيعة العلاقات بين السلطات واختصاصها...»[1]؛ حيث يكون النظام مجموعة قوانين تصدرها السلطة العليا؛ حيث تكون الدولة حريصة على سنّ هذه القوانين في إطار تحديد الواجبات والحقوق الّتي ينبغي للشعب أن يكون على دراية بها، ليكون الهدف الأسمى للدولة ضمان السّير الحسن لشؤون الحياة المختلفة.

ب- **الشّعب:** يمكن أن نعرفه على أنّه «الركن الأساسي في تكوين الدولة، لذلك لا يمكن تصور قيام دولة بدون شعب، ولا يهم عدد أفراده من حيث اعتبار ذلك من عوامل قوة الدّولة سياسيا واقتصاديا، فالشعب ظاهرة سياسية بمعنى أنه يعيش على أرض معينة ويخضع لسلطة معينة»[2].

كما يمثّل النّخبة الفاعلة والمتفاعلة، من خلال محاولة تجسيد قوانينها على أرض الواقع، وتنصيب أعضاء السلطة من خلال ممارسة حقه الشرعي.

وانطلاقا من العلاقة القائمة بين النظام والشعب، وقع اختيارنا على عينة من أنظمة البلدان العربية، ونخصص حديثنا عن النظام المصري، هذا الأخير الّذي شهد انقلابات سياسية، كانت بمثابة محطات تاريخية مرت بها البلاد ودونت في الذاكرة التّاريخية لها، وقد

---

[1] -بوميدن طاشمة، مدخل إلى علم السياسة مقدمة في دراسة أصول الحكم، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014 ص39.

[2] - المرجع نفسه، ص64.

شهدت مصر أحداث تاريخية ومن بينها ما تم تداوله في «صفحات مواقع التواصل الاجتماعي دعوة للإضراب في 14 فبراير 2012، وثم البدء في العصيان المدني حتّى رحيل المجلس الأعلى للقوات المسلحة الّذي يدير شؤون مصر منذ تنحي مبارك»[1]، وكأي انقلابات سياسية تشهدها أي دولة، فإنّ هذا النوع يكون مرفوقًا بهدوء ما قبل العاصفة؛ بحيث تكون الحركات الاحتجاجية سيدة الموقف، فهي عبارة عن تظاهرات بقيادة الشعب للمطالبة بحقوق يراها مشروعة؛ حيث تفاقم الوضع وتدهورت صحة النظام المصري ووصل إلى أرذل العمر، فأصبح من الضروري الإتيان بمطالب شعبية نابعة من الواقع المعيش، ومن بين المطالب الّتي نادى بها الشّعب «إنهاء الحكم العسكري، سرعة انجاز محاكمة رموز النّظام السابق، تسريع الانتخابات الرّئاسية، تعجيل محاسبة المتظاهرين في ثورة 25 يناير»[2]، وغيرها من المطالب التي رآها الشّعب المصري من حقه فوجب عليه المناداة بها والدعوة إلى ضرورة تحققها، وكأي نظام يشهد حالة توتر فقد نتج عن ذلك ردود سياسية تتماشى مع الوضع الرّاهن آنذاك، فنجد أنّ «حزب المصريين الأحرار أعلن مشاركته وتضامنه الكامل مع الدّعوة لإضراب 11 فبراير مؤكدا إصراره على النّضال السّياسيي، من أجل استكمال الثّورة وتحقيق كلّ أهدافها من الحريّة والعدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية»[3].

كما نجد « حركة شباب 6 أفريل أبرز الحركات الداعية والمشاركة في الإضراب فقد أعلنت الحركة في بيان لها أنّها مستمرة في دعوتها للمشاركة في إضراب 11 فبراير على أنّه حق قانوني ودستوري »[4]، ومن الأكيد أنّ الردود السّياسية تنوعت بين مؤيد ومعارض لتكون بذلك تحصيل حاصل للوضع الّذي شهدته البلاد، حيث حاولت كلّ جهة التّعبير عن وجهة نظرها كاشفة بذلك عن إيديولوجية مع

---

[1] – محمود أبو بكر، 11 فبراير بمصر "مع" و"ضد"، بي. بي. سي، 9 فبراير 2012، جدد في 10 فبراير، ضمن الموقع الإلكتروني، HTTPS://WWW.BBC :00h11 ; 7/02/2021 ;

[2] – الموقع نفسه.

[3] – الموقع نفسه

[4] – الموقع نفسه.

## علاقة الأدب بالتحليل النفسي:

ما يميز هذه العلاقة أنّها مبنية على التماسك و التكامل خاصة والكل يعرف أنّ الأدب نتاج فنّي إبداعي، هذا الأخير جملة من الشحونات النّفسية والتصورات الفكرية، يفجرها الأديب لتخرج إلينا على شكل قالب فنّي جمالي غامض، لا يمكن فهمه إلّا من خلال محاولتنا فهم نفسية المبدع والبحث في مكنوناته الدّاخلية، «ويرتبط النقد النفسي بالعالم النفساني "فرويد" الّذي يرى في العمل الأدبي موقعا أثريا ذا طبقات من الدّلالات متراكم بعضها على بعض، ولابدّ من الحفر فيها للكشف عن غوامضه وأسراره، والأدب والفنون عامة في رأي"فرويد" شكل من أشكال التّعبير عن الرغبات المكبوتة وصورة من صور التنفيس الشّكلي من اللّاوعي المختزن كما يضيف "فرويد" أنّ الأعمال الأدبيّة والفنيّة تشكل أسلوبا يلجأ إليه اللّاوعي للتّعبير عن نفسه تعبيرا ساميا يجعل الأديب بعد انجازه للعمل الفني يشعر بنوع من الارتياح لتخلّصه من المكبوتات»[1]؛ أي أنّ النّفساني "فرويد" يرى أنّ الأدب وغيره من الفنون الوسيلة الأنجع الّتي يتمكن من خلالها المبدع أن يعبّر عمّا يختلج نفسه وبالتّالي تحقيق التّوازن النّفسي؛ حيث أصبح الاهتمام بالأديب وأحواله النفسيّة من الأساسيات خصوصا ما يعرف بـ«فنّ السيرة نتيجة قيام الباحثين بتدوين سير الأدباء وتحليل نظريات فرويد، ونتج عن ذلك أن أصبح الاهتمام بحياة الأديب يفوق الاهتمام بدراسة آثاره»[2] وبالتالي فالعلاقة بينهما مبنية على التفاعل فعادة ما يكون الأدب ثمرة ناتجة عن الشحنات العاطفية و الاضطرابات النفسية .

[1] – إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، المسيرة، الأردن، ط1، 2003، ص56.

[2] – المرجع نفسه، ص58.

## الفصل الأوّل: السّجن والكتابة

1-1 مفهوم السّجن.

2-1 معنى السجين.

3-1 مفهوم أدب السجون.

4-1 سردياته.

5-1 خاصية الكتابة السجنية.

6-1 علاقة الأدب بالتحليل النفسي.

## 1)مفهوم السجن

بالرغم من اختلاف المفاهيم حول السجن إلا أنها اتفقت من حيث معناه ،فكل من عرفه لا يخلو تعريفه من تصوير معاناة المعتقلين وأساليب الظلم الممارسة ضدهم ، ولنتعمق أكثر في مدلولات السجن وجب علينا تقديم مفهومه اللغوي ، حتى نستطيع الكشف عن جذور هذه اللفظة.

**أ.السجن من الناحية اللغوية :**

ورد في لسان العرب لابن منظور :" سجن: السِّجن :الحَبسُ والسّجْنُ بالفتح المصدر سَجَنَهُ يَسْجُنُهُ ،سَجناً أي حبسه وفي بعض القراءة قال: "رب السَّجن أحب إلي "، فمن كسر السين فهو المحبس وهو اسم،ومن فتح السين فهو مصدر سجنه ،سجنا و في الحديث :"ما أ حق بطول سجنٍ من لسانٍ"[1] حيث أراد ابن منظور من خلال ما تم ذكره أن يميز لنا بين الاسم والمصدر وذلك على حسب تغيير الحركات الإعرابية ، وليوضح لنا أكثر ما تحمله لفظة السجن من معانٍ نجده يقول في موضع آخر:" والسَّجان هو صاحب السِّجن ،ورجل سجِّين،مسجُون وكذلك الأنثى بغيرها ،والجمع سجناء وسجنى وقال اللمباني:"امرأة سجينٌ وسجينةٌ أي مسجونة من نسوة سجن وسجائن"[2]، وهنا أراد أن يبين لنا الاختلاف في استخدام لفظة السجن بصيغة المذكر و صيغة المؤنث وفي حالة الجمع وبالتالي تغير الحركات الإعرابية، ويقول أيضا :"سجينَ على وزن فعيلَ من السَّجن والسجين :السَّجن وسِجِّين: واد في جهنم، نعوذ بالله منها ،مشتق منها والسَّجين : الصلب الشديد من كل شيء . وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴾[3] سورة المطففين آية (7) قيل المعنى: أن كتابهم في حبس لحساسة منزلتهم عند الله عز وجل ، في حجر تحت الأرض السابعة ،

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج 13، مادة (س ج ن)، دار صادر، بيروت/لبنان، د.ط، د.ت، ص203.

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] سورة المطففين، الآية 7.

وقيل في سجين: في حساب"[1]، حيث يتبين لنا من خلال هذا القول وزن الكلمة ومعانيها المختلفة ،مقتبسا ذلك مما ورد ذكره في القرآن الكريم ودلالة أيضا على أن لفظة السجن لها جذور في الدين الإسلامي وتدل كذلك على منزلة الكفار.

**ب. مفهوم السجن من الناحية الاصطلاحية:**

بمجرد ذكر كلمة المعتقل يتبادر إلى الذهن ذلك المكان الضيق الذي له شكل هندسي معين يختلف عن باقي المؤسسات ، والمخصص لفرض عقوبات على المجرمين وحفظ المجتمع منهم، أو هو مؤسسة خاصة بإعادة تربية وتأهيل المنحرفين،حيث اختلفت مفاهيمه من باحث لآخر فوقع اختيارنا على البعض منها :" أداة الحماية: حماية المجتمع من الخارجين عن القانون وأداة _أيضا_ للقهر والتسلط والحرمان ،والسجن يمثل السلطة المراقبة والمحددة للعقاب المناسب لكل خرق قانوني" [2]،بمعنى أنه سلاح ذو حدين يسعى لضمان الأمن والاستقرار وفي نفس الوقت يمارس الضغط على المجرمين من خلال تسليط نوع من العقوبات وإتباع إجراءات في حقهم بحيث تكون هذه الإجراءات متفاوتة فيما بينها على حسب طبيعة الفعل الإجرامي ، وهذه المؤسسة قد تظهر في شكلها المادي وهو بدوره ينقسم إلى قسمين :

- وطني وهو تلك التي تمارسها السلطة الوطنية كمؤسسة رسمية في حق كل من يحاول المساس بأمن البلاد وزعزعته )التعزيز بالمفهوم القديم) .
- أجنبي كالسجن الاستعماري حيث كان يسجن الوطنيون.

أما السجن المعنوي ويتمثل في تلك القيود التي لا نراها بأعيننا ،لكن نتحسسها بوجداننا وأرواحنا ، كالعادات والتقاليد التي تصدر عن المجتمع وتكون بمثابة دستور خاص

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج 13، مادة (س ج ن)، دار صادر، بيروت/لبنان، د.ط، د.ت، ص203..

[2] رأفت حمدونة، أدب السجون: الخصائص والمميزات، ضمن الموقع الإلكتروني https :lle/jadidelyanmi.dz/2019، 2021/4/15، 20:07.

به، بحيث يفرضه علينا وأحيانا يكون مجحفا في حقنا[1] ،ومن يحاول الإفلات من قبضته فلن ينال حريته،بل يكتسب أكبر عدد ممكن من المعارضين ، هؤلاء الذين يقدسون كل ما يمليه عليهم مجتمعهم ويعتبرون كل محاولة في الخروج عن المضمار الذي خطه المجتمع هو انحراف عن مساره المقدس وهذا يعود بذاكرتنا إلى نظام القبائل والنظرة الضيقة التي كان يفرضها شيخها، وكل من يخرج عن قوانينه يصنف في خانة الصعاليك.

إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ميال إلى الاحتكاك بالآخرين، حيث تجمع بينهم علاقات اجتماعية يشتركون في تأدية نفس الواجبات ويطالبون بنفس الحقوق، وبما أن الإنسان ليس معصوما من الخطأ فأحيانا يقع في مطبات تؤدي إلى شل حركته، وبهذا الخصوص يقول ابن تيمية: "تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه، سواء كان في البيت أو في المسجد أو كان بتوكيل نفس الخصم أو وكيل الخصم عليه"[2] حيث يحرم من ممارسة أي نشاط خاص به إلا بما تسمح به مؤسسة السجن، واقعا تحت ضوء الرقابة المشددة فاقدا إحساسه بالحرية وربما هذا الشعور هو الذي يدفع بالسجين إلى مراجعة حساباته على أن يكون فردا نافعا لنفسه ولمجتمعه،هذا الفرد الذي لطالما كان يطمح أن يعيش حياته كما يريد محاولا الإفلات من قبضة المجتمع المتمثلة في العادات والتقاليد التي تم الإشارة إليها سابقا، فكيف له أن يرضى بما تمليه عليه مؤسسة بأكملها لها قوانينها الصارمة و أي محاولة اختراق لدستورها فإن العواقب ستكون وخيمة، بغض النظر عن الاضطرابات النفسية التي سيتعرض لها من اكتئاب وحزن وقلق وغيرها كنتيجة حتمية لما سيعيشه داخل السجن، هذا الأخير "مكان معد لحبس المجرمين والمتهمين والمحجوزين لمصلحة معتبرة، وهذا التعريف فيه بيان للغاية من السجن في الدين الإسلامي، وهو مصلحة

---

[1] رأفت حمدونة، أدب السجون: الخصائص والمميزات، ضمن الموقع الإلكتروني https :lle/jadidelyanmi.dz/2019، 2021/4/15، 20:07.

[2] ابن تيمية، مجموعة الفتاوي، ج35، دار الوفاء/المنصورة، مصر، ط3، 2005، ص237.

الجماعة بحفظ الدين والمال والعرض والنفس والعقل والفعل، ومصلحة للفرد الجاني لإبرائه وإصلاحه وتأديبه حتى يعود للمجتمع فردا صالحا وحفظه من الاعتداء عليه حتى يرى ولي الأمر الإفراج عنه حسب ما تقتضيه المصلحة"[1]. ومن خلال هذا القول تبرز أهمية السجن في شريعتنا الإسلامية ووجوده في حياتنا ضروري تحسبا لوقوع أي جريمة أو قضية فاحشة قد تمس بمصلحة المجتمع وتفاديا لانتشار الفوضى داخله، كما يمكن أم نعتبره مقبرة للأحياء تسلط عذابها وتطبق الخناق عليهم بممارساتها الظالمة في حقهم، خصوصا إذا وقع السجين في يد أشخاصا لا يعرفون الحق من الباطل ومن هنا ننتقل من فكرة حفظ المجتمع من المجرمين إلى حمايتهم من مؤسسة السجن نفسها، وبغض النظر عن وجود أشخاص يستغلون مناصبهم لأغراض لا يسمح بها القانون إلا أن الشائع بين الناس أن المعتقل "وسيلة من الوسائل التربوية في الشريعة الإسلامية والقانون، وإبراز الدور المنوط به، وهو من الأمور المهمة في حياة الناس أمما وشعوبا وأفرادا وجماعات، من خلال خدمة المجتمع وترسيخ العدالة (...) ونصرة المظلوم ورد الحقوق لأهلها وإصلاح النفس"[2].

وهذا القول يحمل نفس المعاني التي تتم الإشارة إليها سابقا، وكما أراء نص في مفهوم واحد مشترك متفقون على نفس المعنى مختلفون في أساليب تفسيرهم، كما يمكن أن نتساءل مع أنفسنا هل ما تم ذكره حول ترسيخ العدالة وحماية للمظلوم وإعادة تأهيل وإصلاح للمجرمين ... قوانين طبقت قولا وفعلا أم هي مجرد شعارات تزينت بها المعتقلات

[1] محمد حسن أحمد مختار، تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية، مجمع ملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة/ السعودية، د.ط، 2010، ص714.

[2] محمد بلال زكرياء عمر، السجن وموجباته في الشريعة الاسلامية –دراسة مقارنة بنظام السجن في السودان، رسالة مجستار، إشراف عادل محمد الطيب عربي، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2014،ص3.

لتخفي حقيقة التشوه يكتنفها؟ ومن بين التسمية التي تحمل معنى السجن نجد:" الأذل الاصفاق، القصر، الديماس، المخييس الجعجاع، العناء".[1]

## 2) معنى السجين:

من البديهي أن يتبادر إلى أدهاننا انه ذلك الشخص الذي ارتكب جريمة أو مخالفة معينة فتسلط عليه العقوبة من قبل الجهات المختصة، بحيث تكون متفاوتة مصحوبة بغرامات مالية على حسب فعل الإجرام أو الذنب الذي ارتكبه وهذا من منظور عام، ولكن إذا أردنا الكشف عن هذا السجين و كيف تحقق تمظهره في الانتاجات الأدبية ستجده بعدة أوجه حيث يمثل مختلف طبقات المجتمع فهناك المثقف، التلميذ، الطالب الجامعي، الأستاذ الجامعي، المناضل الحزبي، الصحافي الثوري، الضابط العسكري، المواطن العادي"[2] فأغلب تمظهراته انه من أصحاب النخبة المثقفة الذين يمثلون القلب النابض لبلد ما، فيكون لهم فكر خاص وتوجه مختلف عن الآخرين –عن الأشخاص العاديين– محاولين بفكرهم رسم مسار جديد بغية إحداث التغيير، لان الواقع الذي يعيشونه لا يليق بهم، حيث يرى هؤلاء أنفسهم على صواب في حين ترى الأطراف المعارضة أنهم يحاولون ضرب استقرار البلاد، ومن هنا يبدأ الصراع بين قوى معارضة وقوى مؤيدة، وفي الأغلب يكون السجين المقصود في هذا الصراع هو السياسي صاحب الرأي الحر، حيث تقدمه الرواية السجينة العربية "وتحدد صفاته في كونه طالبا جامعيا، إما ينتمي إلى الإخوان المسلمين أو إلى الحزب الشيوعي، انه شاب مشبع بالفكر اللينيني والماركسي، يؤمن بالثورة والتغيير، ولذا كانت الجامعة فضاء لنشر الأفكار الماركسية الشيوعية (...) ومكانا للاجتماعات والمناقشات واستقطاب طلاب جامعيين مناضلين آخرين، ومن ثم عرفت الجامعات اعتقالات

---

[1] سكينة قدور، الحبسيات في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف لخضر عيكوس، قسم اللغة والأدب العربي،كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري– قسنطينة/الجزائر،2007، ص23–26،

[2] محمد داني،الرواية العربية السجينة دراسة نقدية، د.د، د.ب، ط1، 2016، ص89.

كثيرة في صفوف الطلبة"[1] حيث يكون الحرم الجامعي بؤرة الاحتجاجات وقلبا نابضا لشن تظاهرات سياسية، خصوصا أن الجامعة حلقة وصل بين مختلف الآراء والتوجهات والتي تحتضن فئة النخبة المثقفة، وهذه الأخيرة التي ترى في نفسها مؤهلة لحمل لواء البلاد وحسن تسييرها، بعد الإطاحة بالأنظمة الفاسدة وإعادة بناء الوطن من منظور جديد، لكن رغبتهم في التغيير تدفع بهم إلى طرق مختلفة لتحقيقه إما بالسلمية عن طريق رفع شعارات شعبية تنادي بتحقيق المطالب، وإما من خلال أعمال الشغب وخلق فوضى كحل ثاني بعد فشل الأول في تحقيق الأهداف المرجوة، فيقع في مخالفة أو جناية اقتضت دخوله السجن، يقضي فيه العقوبة المقررة (...) ولا شك أن ارتكابها جريمة بحق المجتمع ككل فوجب حماية هذا الأخير من أمثاله[2]، لأن بقاءه خارج السجن يزرع المخاوف ويشجع على الفتن كما أن تنعمه بالحرية لدليل على غياب الرقابة وقلة تحمل المسؤولية من قبل الجهات المخولة في مكافحة أعمال الشغب ومحاربة المجرمين، لكن هل كل سجين تصدق فيه هذه الاتهامات؟ فليس كل سجين مجرم فبعض الأشخاص يدخلون السجن ظلما، والبعض منهم يدخل لأنه طالب بحقه في التغيير كما هو الحال بالنسبة لأصحاب الرأي السياسي، وهنا ينبغي أن نعيد النظر في الادعاءات الموجهة لهم، فأين هي الديمقراطية التي تدعيها السلطة الحاكمة في إطار ما يسمى بحرية التغيير؟ فمن حق المواطن أن يبدي رأيه ومن واجب السلطة أن تستجيب فكيف لهذه الخيرة أن تقمع الحريات؟! بعد أن أقنعت مجتمعها بوهم الديمقراطية، إن ارتجال الشعوب العربية اليوم ما هو إلا دليل على وعيها وتفطنها لمكر الشعارات الزائفة، ومطالبتهم بالتغيير و إسقاط الأنظمة الفاسدة ليس دليلا على ضرب استقرار البلاد، بل هي محاولة شريفة لإعادة ازدهار الوطن من وجهة نظر واعية ملتزمون بالسلمية ولا يتراجعون عن حقهم

[1] محمد داني، الرواية العربية السجينة دراسة نقدية، المرجع نفسه، ص91.

[2] ينظر: عبد الحفيظ يوسف عليان أبو حميدة، حق السجين في الخلوة الشرعية دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الأردني، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية كلية الشريعة – جامعة الزرقاء، الأردن، ع1، يناير 2012، ص82.

في التغيير، هؤلاء الذين كانوا ضحايا لادعاءات باطلة جعلتهم يصنفون في خانة المغضوب عليهم، بل ولقبوا بالمساجين هذه التسمية التي جعلتهم في كفة واحدة مع المجرمين فكان ذلك إجحافا في حقهم كمواطنين، ومن هنا نتساءل هل مناداتهم بالمساجين مجرد تسمية أم حقيقتها ضرب لمعنوياتهم وزرع لمنابت الشك في درجات وعيهم؟

## 3)مفهوم أدب السجون

يعد أدب السجون من بين الانتاجات الأدبية التي استقطبت اهتمامات الكثير من الأدباء خاصة أن هذا النوع من الكتابات كسر تلك الطابوهات التي كانت تعتري نفوس الكثير من الأدباء المتخوفين من الكتابة ضد السلطة، مترددين في إزاحة الستار وكشف أساليب الظلم داخل المعتقلات، لكن وبظهور شعلة من الأدباء بزغ فجر أدب السجون في الساحة الأدبية، وقد كانت ثمرة هذا البزوغ أن تفجرت مفاهيمه وتنوعت من أديب لآخر والتي اختلفت في أساليب تعبيرها واتفقت من حيث المضمون، ما زاد الساحة الأدبية العربية ثراء من حيث إنتاجها، أدب السجون في مفهومه البسيط هو ذلك النتاج الإبداعي الذي اتخذ من السجن موضوعا له ومن معاناة المساجين دافعا إنسانيا لإبلاغ رسالة عالمية، وهناك من صنفه ضمن الانتاجات المعارضة للسلطة خصوصا أنه يكشف عن معاناة المعتقلين داخل مؤسسات السجن كما إن تسميته بأدب السجون لدليل على أن هناك مبدعون التفوا إلى فئة المساجين، هؤلاء الذين يعانون من التهميش، فظهرت مجموعة من الأدباء الذين أرادوا أن يجعلوا منهم مركزا في الإنتاجات الإبداعية بعد أن كانوا يمثلون الهامش داخل المعتقلات مقدمين في ذلك صورة إنزياحية منهم، فتجد من عرف بأنه "الأدب الإنساني النضالي الذي ولد في عتمة وظلام الأقبية والزنازين (...) وخرج من رحم الوجع اليومي والمعاناة النفسية والقهر الذاتي والمعبر عن التعذيب"[1]. فهو ذلك الإبداع الذي كافح ضد السلطة لإبلاغ رسالة

[1] فاطمة مسلماني، أدب السجون، ضمن الموقع الإلكتروني atknowledgee.net، 2021/4/11، 4:30.

إنسانية كلها دعوة في النظر لحال المساجين، هؤلاء الذين ربما لم يرتبكوا أي ذنب غير أنهم لم يسلموا من الادعاءات الباطلة الموجهة ضدهم، فلم يستوعبوا حقيقة ذلك إلا بعد أن انقضت عليهم مخالب النظام، فكان أدبا يتسم بطابع الحزن والأسى مصورا بذلك معاناتهم وآلامهم، داخل السجون تصويرا دقيقا خاليا من التصنع، مما جعل الصورة أقرب إلى أذهاننا وتأثيرها أبلغ في نفوسنا، وهناك من قال عنه أنه "نوع من الأدب استطاع أن يكتبه أولئك الذين عانوا السجن والتعذيب خلال فترة سحبهم (...) أو بعدها أم كتبه الذين رصدوا تجارب سجناء عرفوهم أو سمعوا عنهم"[1]، فيمكن القول من خلال ما سبق ذكره بأن هذا النوع من الأدب هو بطاقة تعريف بالمعتقلين الذين عانوا من ويلات الظلم والقهر بين قضبان السجون، أو هو تحصيل حاصل لتلك التجربة المريرة التي عاشها هؤلاء وهذا يقودنا لرأي النقاد حول حقيقة هذا الأدب وأنه إنتاج أدبي كتبه الأسرى في معتقلاتهم ويستوفي الحد الأدنى من الشروط، ما يكتب عن السجون والأسرى خارج السجن ولم يكتبه الأسرى أو المحررين عايشها غيره، وقد كتب عنهم نتيجة تأثرت بما حصل لهم، أو كمحاولة منه لجعلهم موضوعا يشتغل عليه في تجربته الأدبية[2]، وبالتالي فالانشغال الذي يمكن أن يطرحه القارئ على نفسه كيف استطاع هذا النوع من الأدب أن يتخطى عقبة السلطة؟ وهل استطاع أن يرد الاعتبار لسمعة المساجين بعد أن ألقى كل اللوم على مؤسسات السجون الظالمة؟ وهل دفاعه عن المعتقلين يثبت براءتهم أمام القانون؟.

## 4)سرديات أدب السجون

تشهد الساحة الأدبية تنوعا هائلا من الانتاجات الأدبية، فكان كل إنتاج أدبي يحمل خلفيات مضمرة ، فوقع اختيارنا على أدب السجون هذا الخير الذي لم يكن وليد الصدفة بل هناك أسباب أدت إلى ظهوره،

[1] ينظر: فاطمة مسلماني، أدب السجون، ضمن الموقع الإلكتروني atknowledgee.net، 2021/4/11، 4:30.

[2] رأفت حمدونة، أدب السجون: الخصائص والمميزات، ضمن الموقع الإلكتروني https :lle/jadidelyanmi.dz/2019، 2021/4/15، 20:07.

وله امتداد زماني يشهد على مسيرته في الساحة الأدبية وبالتالي فأدب السجون ليس بالنتاج الحديث أو المعاصر، فلة جذور منذ القدم فنجده في:

**أ. العصر الجاهلي:**

لم يخل هذا العصر من وجود المعتقلات كأماكن مخصصة لزج المذنبين حتى ينالوا العقوبة المفروضة عليهم، نتيجة لما ارتكبوه من مخالفة لنظام القبلية، ولعل الشعراء كانوا من بينهم نتيجة إساءتهم لسمعة القبلية أو هيجاء حكامها، الأخيرة التي لها امتداد في تراثنا العربي القديم وليست بالمر الجديد في أماكن مختلفة كمملكة الغساسنة، مكة المكرمة، اليمن وغيرها من القبائل العربية[1]، لكن مفهوم السجن عندهم لا يحمل نفس الملامح التي نعرفها نحن في عصرنا الحالي بل كان يحمل دلالة دفع الجزية مما يملكه من رزق، وذلك كتحصيل حاصل لما اقترفه من ذنب، بحيث يبقى أسيرا حتى يدفع الجزية التي يكفر بها عن خطيئته[2]، هي إجراءات متعبة عند القبائل الجاهلية من أجل تحقيق العدل وفق ما يقتضيه شيخ القبيلة وما يراه مناسبا.

**ب. السجن في صدر الإسلام:**

إن لفظة السجن لها جذور مستمرة من القرآن الكريم، حيث كانت العقوبات عبارة عن أحكام شرعية صادرة من الشريعة الإسلامية، وبما أن هذا العصر تميز بالفتوحات الإسلامية فقد تلاحقت الثقافات وبدأت مفاهيم الدين الإسلامي تحتل الصدارة في نفوس المقبلين على الإسلام والسعي للامتثال لأوامر الله عز وجل، حيث كان السجن من بين

---

[1] ينظر: واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعة للدراسات، بيروت/لبنان، ط1، 1995، ص15.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص21.

القضايا التي طرحها القرآن الكريم من بين الأدلة القرآنية: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [1] سورة يوسف الآية33.

قال عز وجل: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2] سورة يوسف الآية25.

قال الرحمان: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [3] سورة الشعراءالآية29.

ومن خلال ما تم الإشارة إليه نلاحظ تكرر خلاله المعتقل في القرآن الكريم وفي مواضع مختلفة، فقد كان يستخدم كوسيلة لتهديد وهذا ما يلتمسه في قصة يوسف عليه السلام مع زليخة وفي قضية موسى عليه السلام وأخاه هارون حين أرسلها الله لهداية فرعون وقومه ودعوتهم للإيمان بالله عز وجل، غير أن فرعون لم يتنازل عن بطشه وتبر عن طاعة الله سبحانه وتعالى وهذه موسى عليه السلام بالسجن لأنه اتبع الحق ولم يخضع لأوامره، كما أن للأحكام التي كان يصدرها الرسول صلى الله عليه وسلم ما هي إلا تطبيق لما أمره الله به مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝3 إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [4] سورة النجم الآيتين 3-4، فما يتلفظ به الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو كلام الله عز وجل.

ونظرا لقضية السجن الشائكة فقد "اختلف أهل الأمصار، هل سجن رسول الله أحدا أم لا؟ فقد ذكر بعضهم أنه لم يكن له سجن، ولم يسجن أحدا، وذكر بعضهم الآخر أنه سجن في المدينة في تهمة وغيرها"[5] ، فالآراء متضاربة فيما بينها حول هذه القضية، فإذا أردنا

---

[1] سورة يوسف، الآية 33.

[2] سورة يوسف، الآية 25.

[3] سورة الشعراء، الآية 29.

[4] سورة النجم، الآية 3، الاية4.

[5] واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص26.

التعقيب عن الرأي الأول فما هب أدلتهم آلت يتثبت بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يسجن أحدا، وما المانع الذي منعه من فعل ذلك؟ وإذا أردنا الوقوف عند الرأي الثاني فما هي حججهم التي تثبت ما قالوه بخصوص أنه طبق حكم السجن في المدينة المنورة؟ وإذا كان كذلك فما المانع الذي كان حائلا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين تطبيقه لحكم السجن في مكة المكرمة؟ "هذا الأمر غدا موضوع اهتمام الفقهاء الذين كانوا يحاولون العثور على السجن على المدينين وغيرهم"[1] وبعد كل الجهود التي بدلها أهل الاختصاص حول هذه القضية توصلوا إلى أنه "لم يكن هناك سجن عند رسول الله يسجن فيه المخالفين، وإنما كانت عقوبة تعويق للشخص المذنب، ربما تكون في بيت أو مسجد، حتى أن في المدعي كان يلازم المحبوس لئلا يحاول الفرار[2]" وهذا نسب الكلام الذي تم الإشارة إليه سابقا بخوص المفاهيم المقدمة حول معنى السجن.

**ت. السجن في زمن الخلفاء الراشدين**

لم يختلف الأمر بالنسبة للخلفاء إذ اتبعوا نفس النظام الذي سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فنجد أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان حريصا على إتباع أوامره وطرق تعامله مع السجناء وهذا يدل على تمسكه بما يوصي به رسولنا الكريم[3]، وبعده تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هذا الأخير عرف بعدله وصرامته في اتخاذ القرارات وتبين حق المظلوم من الظالم، فكان يقطع يد السارق امتثالا لما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [4] سورة المائدة الآية38.

---

[1] واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص26.

[2] المرجع نفسه، ص28.

[3] المرجع نفسه، ص29.

[4] سورة المائدة، الآية 38.

كما يروى أن الخليفة عمر بن الخطاب قد خصص مبلغا ماليا قدره أربعة آلاف درهم اشترى به دارا بمكة المكرمة عند صفوان بن أمية، جعلها سجننا مخصصا للمذنبين[1]، وهذا ما يشدنا إلى ملاحظة لابد أن نأخذها بعين الاعتبار وهي أن "شراء دار صفوان بن أمية لتكون سجنا يدل على تطور في عملية السجون، وربط المذنب في إحدى سواريه، وألغيت البئر وأضحى السجن مؤسسة رسمية بناء خاصا ملكا للدولة، دفع ثمنه من الأموال العامة ولمصلحة الأمة"[2]

وقد اتخذ السجن منحنى في عهد الخليفة الثالث، فكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقوم بزيارة دورية للسجون وتفقد أحوال المعتقلين، وربما لمعرفة أحوالهم أو إطلاق سراح بعضهم والذي لا يتم إلا بإذنه، كما أن مكان السجن كان بعيدا، الإقامة الجبرية في يومنا[3]، وما يميز قضية السجن عند عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما هو حدوث تغيرات طرأت على المعتقل ليشهد هذا الأخير تطورا تدريجيا، أما السجن في عهد علي بن أبي طالب فقد كان يعامل السجناء معاملة حسنة من أكل وشرب ولباس[4]، وهذا يعكس أخلاقه النبيلة وحسن تعامله من باب الإنسانية، فالمذنب بغض النظر عن الذنب الذي ارتكبه يبقى إنسانا لديه قابلية التغير إلى الأحسن، لنستنتج في الأخير أن أوضاع السجون كانت تتطور تدريجيا وتواكب العصر الذي كانوا يعيشون فيع وأغلب الأحكام التي كان يصدرها الصحابة رضوان الله عليهم لا تخرج عن إطار ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يعود إلى تعلقهم به وإتباع سنته كما يدل كذلك على تأثرهم ببيئتهم التي كانوا

[1] ينظر: واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، ص32.

[2] المرجع نفسه، ص33.

[3] المرجع نفسه، ص35.

[4] واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص38.

يعيشون فيها هي البيئة الإسلامية، وانفتاح الناس على مختلف القضايا التي طرحها الدين الإسلامي.

**ث. السجن في العصر الأموي**

شهد هذا العصر عدة اضطرابات وخلافات سياسية، مما أدى إلى انتشار ظاهرة القتل والعذاب، فكان السجن تحصيلا حاصلا لتلك الأوضاع الراهنة، كإجراء تتخذه السلطة الحاكمة هذه الأخيرة التي كانت تتفنن في أساليب التعذيب، إلى غاية أن تولى الخلافة معاوية بن أبي سفيان، الذي حمل لواء الانتقام لقتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه فعمد على تصفية الحسابات ضد الأطراف المعارضة، إلا أنه لا يعد دليلا قاطعا على هدوء الأوضاع وعودة المياه إلى مجاريها، بل كان هناك عدة أطراف معارضة كالهاشميون، العلويون، الخوارج، الزبيريون، فكانت أحكام وقرارات القبض والإدخال للسجن بأمر من معاوية أو بأمر أتباعه.[1]

**ج. السجن في العصر العباسي:**

لقب بالعصر الذهبي، وذلك يعود للازدهار الهائل الذي مس الحياة على مختلف الأصعدة منها السياسية، الاجتماعية، الثقافية، لعل هذه أهم ميزة اتسم بها هذا العصر، وبالتالي فالدولة العباسية كانت حريصة على حماية أراضيها حيث "تعد الثورة العباسية نهاية الثورات الكثيرة التي نشبت ضد بني أمية وهي ثورات أراد بها أصحابها الإصلاح الاجتماعي (...) و أكثرهم كان يتخذ طريق العنف من أجل أن يمحو سلطان الأمويين محوا على محو ما كان يريد ابن الزبير والخوارج والشيعة (...) متخذين من القضاء على كل ثائر وأنصاري نكالا لكل من يحاول الثورة على نظمهم السياسية والاجتماعية"[2]، وهذا يعكس لنا العلاقة

---

[1] واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، ص39-40.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي والعصر العباسي الأول، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة/مصر، ط8، د.ت، ص9.

المتوترة التي امتدت جذورها من العصر الأموي إلى هذا العصر حول الخلافة، لكن خلفاء هذه الدولة لم يستسلموا وجاهدوا من أجل حماية حدودهم ونفوذهم، بالتالي فإن التنافس على الخلافة ليس بالأمر الهين فغالبا ما يولد صراعات قد تكون عواقبها وخيمة حيث "ظلت ثوراتهم تتوالى من حين إلى حين وظل الكثير من أئمتهم وأقلامهم يقتلون ويسجنون إذ كانوا يزعمون أنهم أولياء الخلافة الأقربون وأصحابها الشرعيون، وأن العباسيين اغتصبوها منهم اغتصابا"[1]، توتر جاء شهدته الخلافة، أين أصبح كل شخص يريد الوصول إلى المنصب، وبالتالي بسط نفوذه على حساب الطرف الآخر لكن أصحاب الخلافة كانوا صارمين اتجاه هذا الأمر فكان جزاء من يحاول التدخل في شؤونهم يعتقل أو يعدم ومما لا شك فيه أن دولة مترامية الأطراف كالدولة العباسية متخذة أسباب التقدم والنهوض في شتى مجالات الحياة، محاكية لنظم دولة قديمة وعريقة ستتخذ فلسفة خاصة في بناء السجون، وفيمن يقوم عليها، فهي إن ورثت التركة الأموية فقد أقامت سجونا أخرى جديدة بهندسة عمرانية لا تختلف عن سجون الفرس والروم (...)، لتعرف من خلالها على طبيعة السجون وما اتخذته من أساليب عقابية جديدة إلى جانب الموروث القديم"، وهذا يدل على انفتاحها على العصور السابقة، وبالتالي فإن مفاهيمها حول هذه القضية لم تخلق من العدم، بل إن المفاهيم التي شكلتها حول هذه القضية لها جذور متصلة من الموروث القديم[2]، إلا أن الدولة العباسية بقوتها لم تقف عند حدود ذلك، بل سعت إلى إقامة السجون الخاصة بها وتبني قوانين حسب ما تراه مناسبا، هذه القوانين التي ولدت من رحم الذهنية العباسية، من بين أسماء سجونها نذكر: سجن خرسان باعتباره أول سجن لها، سجن بغداد، سجن المطبق، سجن الهاشمية، سجن سامراء سجن دار الخلافة، سجن الأهواز.[3]

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي والعصر العباسي الأول ، ص291.

[2] سكينة قدور، الحبسيات في الشعر العربي، ص47.

[3] المرجع نفسه، ص49-51.

من خلال ما تم الإشارة إليه بخصوص سابقا يمكن القول "أن بمجهود المماليك يكاد كل منها أن يخصص لطبقة معينة دون غيرها، وهو الأمر الذي شهدناه في بعض سجون بني أمية وبني العباس، فمنهما الخاص بالأمراء منها المخصص لذوي الجرائم المعينة كالسرقة وقطع الطريق ومنها المخصص للمحكوم عليهم بالقتل أو القطع"[1]، ولعل هذا يدل على قدرة بني أمية وبني العباس في التحكم في زمام الأمور المقلقة بالاعتقال كما يعكس ذلك مدى صرامتهم في تخصيص أماكن للسجن على حسب طبيعة الجريمة التي يرتكبها المذنب، في نفس الوقت هو دليل على قدرة الدولة العباسية أن تفرض قوانينها، وبالتالي استطاعت أن تحقق تمركزها كدولة قوية يشهد لها عصرها على غرار العصور الأخرى.

**ح. السجن في العصر الحديث**

يعتبر العصر الحديث عصرا مختلفا عن سابقته خصوصا أنه عصر حاول أصحابه أن يرسموا ملامح جديدة للحياة، هذه الأخيرة التي طمست معالمها بفعل العصور الوسطى أين كان ظلام الكنائس، مفاهيمها مشاعا، فاختفت ملامح الحياة إلا ما أبقت عليه الكنائس[2]، فجاء العصر الحديث ليعيد بعث النفس لهده الحياة المفقودة، لكن السؤال المهم الذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا هل استطاع هذا العصر أن يرسم حقا ملامح جديدة لهذه الحياة ؟ وهل أحدث تغيرا في قضية السجن؟ ليتميز عن سابقيه من العصور وللإجابة عن هذا الطرح البسيط "فإننا ونحن نتأمل هذا العصر، عصر الحرية، والنهضة، والعلم وسلطان العقل، نجد أن كل ما قيل عن إمكانية التحول بهذه المؤسسة من العقاب والانتقام إلى البناء والإصلاح لا يحدوا أن يكون حبرا على ورق، سواء في البلاد التي تزعم التطور أو في مستعمراتها من بلدان العالم الثالث أو في البلدان النامية بعد تخلصها من نير الاستعمار"[3].

---

[1] سكينة قدور، الحبسيات في الشعر العربي ، ص53.

[2] المرجع نفسه، ص53-54.

[3] المرجع نفسه، ص57.

لكن هذا ليس دليلا قاطعا على فشل العصر الحديث في تحقيق التطور والازدهار، كما أن هذا العصر قد شهد قضايا سياسية فكان السجن مصيرا محتوما لكل من حاول المساس بها "ولعل الملاحظة التي يجب تسجيلها عن السجون في هذا العصر هي أن أغلب حالات السجن التي بلغتنا أخبارها نالت قسطا من وسائل الإعلام (المكتوبة خاصة) هي ما تعلق بالجرائم السياسية والتي لا يخجل أصحابها من الاعتراف بها أو الكتابة عنها، بل كثيرا ما كانوا يفخرون بها، بينما يفضل أصحاب الجرائم الجنائية التكتم خوفا من عين الرقيب الاجتماعي الذي لا يغفر لهم مثل تلك السقطات"[1]، أي أن أصحاب القضايا السياسية أصبحوا يعترفون بما ارتكبوه في حق سلطتهم، ليس هذا وحسب، بل يكتبون عن ذلك دون أن يردهم خوفهم عن ذلك، وهنا يمكن أن تدخل عدة تأويلات بهذا الخصوص يمكن أن نعتبرها جرأة منهم، كما يمكن اعتبارها ارتجالا في قول الحقيقة لطالما رأى هؤلاء أنفسهم على حق وأنه من حقهم التصدي وفضح السلطة، أو أنهم يعتبرون أنفسهم تلك النخبة المثقفة التي لها القدرة على إحداث التغيير إلى الأحسن وهم قادرين على حمل لواء النهضة بأوضاع البلاد، وبالتالي فإن العصر الحديث شهد تنوعا في سجونه كباقي العصور حيث "تتنوع السجون الحديثة بتنوع الجرائم المرتكبة وبمدة السجن التي يقضيها كل سجين، فقد عرف العصر لكل عقوبة سجنا ومدة زمنية معينة تتنوع بتنوع السجناء أيضا من حيث درجة الخطورة، حيث توجد ثلاثة مؤسسات جزائية يندرج تحتها كل أنواع السجون الحديثة لكل منها عمرانه الخاص وقوانينه وظروفه"[2].

فهذا العصر تميز بكثرة السجون ودقة تنظيمها، حيث نستنتج من القول السابق ذكره أن المجرمين يتم سجنهم في أماكن مخصصة حسب طبيعة الذين أو فعل الإجرام الذي ارتكبوه وتتمثل المؤسسات الجزائية في العصر الحديث في: "المؤسسات المغلقة، المؤسسة

[1] سكينة قدور، الحبسيات في الشعر العربي ، ص57-58.

[2] المرجع نفسه، ص59.

شبه المفتوحة، المؤسسات المفتوحة"[1]، وهي مؤسسات ذات درجات متفاوتة فيما بينها من حيث معاملة السجناء كما تختلف عن بعضها من حيث تشديد الرقابة والأمور الداخلية المتعلقة بإدارة السجن[2]، وهذا التنوع والتطور داخل السجون اختلف من عصر إلى عصر، نتيجة عوامل وظروف حددتها السلطة الحاكمة.

## 5) خاصية الكتابة السجنية

استطاعت الانتاجات الأدبية التي تصب في موضوع أدب السجون أن تحقق قفزة نوعية على باقي الانتاجات الأدبية الأخرى، فهي على غرار سابقيها فإنها اعتمدت على كتابة نوعية زادتها جمالية وفنية وأكثر حضورا في الساحة الأدبية، وبالتالي فإن "الكتابة السجنية (...) المعبرة عن ظروف الاعتقال والمعاناة السجنية تجمع بين زمنين متناقضين زمن المعاناة (...)، كالتحقيق الاستنطاق، والتعذيب، وزمن التعبير عنها إما بالكتابة أو شفهيا"[3] ، حيث جمعت بين زمنين متباعدين مصورة من خلالهما الوقائع الاعتقالية وأحداثها المأساوية، وبالتالي فإن الكتابة السجنية لها خصائص كأي نوع من الكتابات ويمكن الإشارة إلى هذه الخصائص كأي نوع من الكتابات ويمكن الإشارة إلى هذه الخصائص على شكل نقاط:

- تفتح المجال لذاكرة طويلة المدى وذلك من خلال الإفصاح عن الماضي، تفتح أبواب الآلام وتزيل الستار عن تلك الحقائق.
- لها قيمتها الفكرية والتاريخية والاجتماعية والأدبية.
- من بين الوسائل التي تسخر من أجل إثبات الوجود وحق النفس في التخلص من القيود التي كبلتها ، أو هي خطة استغاثة تحاول فضح أساليب الظلم المسلط على صاحبها والبحث عن سبل الخلاص.
- يمكن أن تعبرها من بين الانتاجات الأدبية التي تسلط عليها الرقابة بشدة خصوصا وأنها تمس بسمعة المسؤولية في مؤسسة السجن وتفضح أساليبهم وبالتالي المساس بنظام البلاد.
- تتميز بمزجها بين خيال المبدع وسيرته الذاتية.[4]

---

[1] سكينة قدور، الحبسيات في الشعر العربي ، ص59-60.

[2] المرجع نفسه، ص59-60.

[3] محمد داني،الرواية العربية السجينة دراسة نقدية، ص27.

[4] المرجع نفسه ، ص27-28.

كما لها تمظهرات مختلفة، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال ما يلي:

أ. **الرسائل:** تشمل كل ما يتعلق بالاعتقال، ويتم توجيهها إلى منظمات سياسية وهيئات حقوقية ومنابر إسلامية وبعض المناضلين أو السياسيين.

ب. **المخافر:** يتعلق بمخافر التحقيق والمحاكمة، بحيث تكشف عن الكيفية التي ..... عليها التحقيق.

ت. **الحكي الشفهي ( الحكاية السجنية الشفهية):** حكي للحدث الاعتقالي شفهيا، والتي تتضمن مجموعة من الحقائق والوقائع واللحظات التاريخية.

ث. **اليوميات السجنية والمذكرات:** نوع من الكتابات التي تفضح مرحلة أو سنوات رصاصية لما فيها من صور المعاناة والتعذيب والقهر[1]. أي أن الكتابة السجنية تحيط بكل ما يتعلق بالسجن، وتعمل على رصده وتكشف المستور فيه وتفضح المسكوت عنه.

إن الكتابة السجنية استطاعت بتميزها أن تخلق علاقات مع أنواع أدبية أخرى، فتجدها تتداخل مع السيرة الذاتية على وجه الخصوص على أساس ما تطرحه الكتابة السجنية يعكس تجربة وسيرة الفرد وما يطرحه كلاهما من أحداث واقعية، كما يمكن أن تشير كذلك إلى تداخل الكتابة السجنية مع الكتابة المسرحية، فعندما كانت الكتابة المسرحية عبارة عن سيناريو يجسد على خشبة المسرح فإن الكتابة السجنية تسجل الوقائع، والأحداث تجسيدها على أرض السجن.[2]

"كما يحدث التعالق أيضا من حيث الآلام التي من الممكن تواجدها فيه مع أدب المنفى وأدب الحرب باعتبار الأول لونا للغربة الفردية والثاني لونا من ألوان الآلام التي

---

[1] محمد داني،الرواية العربية السجينة دراسة نقدية ، ص29-30.

[2] عبد الحكيم سليمان المالكي، أدب السجن والسرد الليبي، مجلة شمال جنوب، جامعة مصرانة/ليبيا، ع، يونيو 2016،ص52

يعيشها الإنسان وحضورا قويا لقوى غاشمة على الذات المبدعة في الحالين"[1]. أي أن الكتابة السجنية تتخذ صيغة الألم لتقترب من كتابات أدب المنفى وأدب الحرب، وفي الحقيقة يمكن القول بأن هذا النوع من الكتابات ما هي إلا ضحايا عاش أصحابها ويلات القهر والاستبداد فكانت كتاباتهم وليدة سوء التجارب القاسية، أو هي الشاهد العيان على ذلك الكبت الداخلي لذي يعانون منه فلم يستطيعوا البوح به بطريقة ارتجالية، فكشفوا ما بداخلهم عن طريق استخدام رموز وتعبير غير مباشر في كتابتهم خوفا من العيش في ويلات الظلم التي عاشوها سابقا، لكن هذا لا يعني عدم وجود كتابات ارتجالية عمدت على فضح المخفي.

وبالتالي هذا النوع من الكتابات يعكس مستوى أصحابها "(...) إذ لا ينبغي أن يرى إلى هذه الكتابات من الزاوية الأدبية وحسب ، إذ ينبغي أن ينظر إليها من زوايا متعددة ولا ينبغي أن ننسى أن جل هؤلاء المعتقلين أناس متعلمون من أساتذة وأطر وكتاب في بعض الحالات ..."[2].

أي أن هذا النوع من الكتابات لا ينبغي أن نرى فيها مجرد كتابة أدبية، اتسمت بفنيات وجماليات تعبيرية وحسب،بل حتى هذه الكتابة تعكس لنا موقع صاحبها ، فليس كل إنسان قادر على الكتابة على هذه الشاكلة ،فمن يتخذ الكتابة المقاومة منبرا له لإيصال صدى صوته ، فلا بد أن يكون على مرتبة من العلم ، وتكون له نظرة ثاقبة اتجاه القضايا السياسية الواقعة في بلده ،ضف إلى ذلك أن أصحابها يتصفون بالحذر واليقظة ،. وهذه صفات أغلبهم ،فمنهم من يستخدم التعبيرات المشفرة تحسبا لأي عقوبة قد تفرضها عليهم السلطة المراقبة ،والبعض منا يعتبر ذلك تخوفا منهم أو أن هذا الخوف واستخدامهم للرموز يعتبر قلة شجاعة وضعف في شخصيتهم ،يكن هذا بإجحاف في حقهم ،فمهما كانت طبيعة التعابير التي تبنوها ،إلا أنهم يمثلون تلك النخبة المثقفة التي تسعى إلى إحداث التغيير نحو

[1] عبد الحكيم سليمان المالكي، أدب السجن والسرد الليبي، مجلة شمال جنوب،ص52.

[2] عبد الرحيم حزل، الكتابة والسجن حوارات ونصوص، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء/المغرب، د.ط، 2008، ص88.

الأفضل ، ومن حقهم أن يكونوا حريصين على حماية أنفسهم ، والأهم أنهم كانوا ارتجاليين في رفع أقلامهم والكتابة عن هذا النوع من القضايا حيث " أعتقد أن من بين التحديات الكبيرة التي تطرح أمامنا في مجال الانتقال الديمقراطي ، هو كيف نستطيع أن نتصرف اليوم ،أكان اتجاه الشعب ، أم اتجاه السلطة بمنطق المواطنة ،أي بمنطق احترام الحقوق والدفاع عنها والإقرار بالواجبات ، والدفاع عن القناعات ،مهما كلفنا الأمر وأعتقد أن الخروج من هذه الثنائية لا يمكن أن يكون إيجابيا إلا بتدعيم المواطنة ،وتدعيم دولة القانون ، وهذا و التحدي المطروح (...)وهذا هو ما يمكن أن تساهم فيه كتابات مثل التي تحدثنا عنها "[1] لأن السعي لتحقيق وتجسيد الديمقراطية لا يكون إلا باحترام حقوق الآخرين و تأدية الواجبات ،وهذا النوع من الكتابات لا يتغاضى عن هذا النوع من المواضيع ،قد تكون هذه الكتابات معارضة للسلطة أو تدافع عما أقرته وما سنته من قوانين ،لكن في أغلب الأحيان يقع صدام بينهما.

ليس هذا وحسب فهناك من اختلف حول تسميتها فبدلا من تسميتها بالكتابة السجنية سماها بالكتابة المقاومة لا كتابة السجن وقد تم تحديد الوظيفة التي تؤيدها هذه الكتابة كالوظيفة التربوية التي تضع المجتمع في الصورة ليكون على دراية بأن هذا الوضع وضع الانتهاكات والاستبدادات التي تمس بحقوق الإنسان ، إضافة إلى الأوضاع المختلفة التي تهدد استقرار الإنسان كوضع الاختطاف مثلا ... وهي أوضاع مخالفة للقانون ،مما يترك أثرا عميقا في نفس الآخرين[2] حيث أن هذا النوع من الكتابات غالبا ما يكون الهدف منه هو التوعية والإرشاد والدعوة إلى حفظ النفس من أجل أن يعيش الإنسان دون مخاوف لأن ،لأن الأوضاع المتوترة التي يعيشها الفرد مهما كان نوعها فإنها تحول حياته إلى جحيم ،حياة كلها مخاوف، فتجعله يعيش حلة فوبيا من الغد الذي ينتظره.

---

[1] عبد الرحيم حزل، الكتابة والسجن حوارات ونصوص، ص94.

[2] المرجع نفسه، ص82.

أما إذا أردنا معرفة الوظيفة الثالثة التي تؤديها كتابة المقاومة فإنها تتمثل في الوظيفة العلاجية، حيث أن العنف وأشكال الاستبداد الممارس في حق المساجين ،فإنها تركت آثارا وخيمة وجروحا عميقة ، ذلك لما عاشوه من ويلات القهر والحرمان ،ليس هذا فحسب فالعنف كذلك يهدم العلاقات ويزعزع استقرارها ،سواء علاقة الناس ببعضهم أو العلاقة التي تجمع بين الدولة وشعبها فكلما تفاقم الوضع وازداد سوءا كلما كانت مخالفات العنف أعمق[1] وهنا يأتي دور كتابة المقاومة ،حيث تعمل هذه الكتابة على تحقيق التوازن النفسي فهي نوع من البوح بما هو داخلي وإفراغ لكل الشحنات السلبية التي يعاني منها كل من عاش أشكال العنف ،ونخص بالحديث الكتاب المساجين ، هؤلاء الذين سخروا أقلامهم وإبداعهم كوسيلة للتخفيف من حدة الكبت والضغط الذي يعيشونه ، فهي تلعب دورا علاجيا عند كل من اتخدها كوسيلة للتخفيف مما يعانيه. كما يمكن القول أنها تتماز بقوة الخيال والسعي للتغيير ومحاولة الربط بين الفكرة والأسلوب ، كما تتسم بالتحدي و الحماسة والحزن من خلال الخوض في قضايا تمس السلطة .

## 6) علاقة السياسة بالأدب:

كثيرا ما أحدثت هذه العلاقة ضجة كبيرة بين الأدباء والنقاد وحتى السياسيين أنفسهم نظرا لما يكتنفها من إضرابات وغموض ،ففي أغلب الأحيان يكون الأدب معارضا للسلطة ،كما أن هذه الأخيرة تكون حريصة كل الحرص على مراقبته ،فهي لا تسمح بأي محاولة قد تمس بسمعتها أو تكون سببا في ضرب استقرارها ، وبالتالي فهذا التصادم الحاد بينهما ليس دليلا قاطعا على عدم وجود مودة بينهما ،ففي بعض الأحيان نجد الأدب يقف مع السياسة ،لذلك فالحديث عن هذه القضية يستدعي الإتيان ببعض الأدلة حتى يكون كلامنا أكثر مصداقية وهذا ما ستتم الإشارة إليه:

[1] عبد الرحيم حزل، الكتابة والسجن حوارات ونصوص ، ص83.

**أ. من الناحية الايجابية:**

ونلمس ذلك "حين يكون الأديب مدافعا عن الحريات مقاوما للتبعية والاستغلال مواجها للسلطة السياسية برموزها الرسمية وغير الرسمية"[1] أي أن الإيجابية تتمثل في تصدي الأدب للسياسة من خلال تلك الرسالة القيمة التي يحملها ،والتي تكون الغاية منها الحث غلى التغير ،والذي يعتبر من حق الشعب وأن يحظى هذا الأخير بالحياة التي يراها مناسبة له ،حريصا في ذلك على فضح أكاذيبها وأساليبها الإغرائية والتي تدعي تجسيدها على أرض الواقع ، محاولة إقناع الشعب بوعود كاذبة ،حيث نجد الأدب يتصدى لكل هذه الألاعيب ضف إلى ذلك فإن الطرح الذي سبق ذكره يعكس رأي البعض حول هذه القضية فهناك من يرى إيجابية العلاقة التي تربط السياسة بالأدب هي في تصدي هذا الأخير لها ،وليس في مساندته وتدعيمه لما تقره السياسة ،وهذا يدل على ارتجالية بعض الأدباء وتحررهم من مخاوفهم اتجاه الكتابات السياسة.

في الوقت نفسه نجد أن آخرين يقرون بأن العلاقة الإيجابية بينهما تتمثل في "أن السياسة أثرت في الأدب على مستوى المضمون وكانت الحروب مادة دسمة لكثير من الروايات والقصائد والقصص كرواية" لمن تدق الأجراس " لهيمنجواي مثلا تتناول أحداثها الحرب الأهلية الإسبانية إبان حكم الديكتاتورية فرانكو ،وعمل جمال الغيطاني الرائع " حكايات الغريب الذي يتحدث عن حرب السويس "1956 م أيام العدوان الثلاثي"[2] ؛أي أن السياسة قد تكون في بعض الأحيان هي النثير الذي يحرك سكون الأدب وجموده ،فتصبح السياسة بأحداثها ووقائعها موضوعا شيقا يخلق عند العديد من الكتاب المبدعين الرغبة في الكتابة ،خصوصا إذا أثارت السياسة موضوعا حساسا يمس الجميع ويحرك ما بداخلهم

[1] علي منصوري، البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة، أطروحة دكتوراه إشراف محمد العيد تاورته، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر –باتنة/ الجزائر، 2008، ص29.

[2] ممدوح مكرم، عن الأدب والسياسة، ضمن الموقع الاكتروني M.AHEWA.ORG، 2021/4/26، 17:29.

،فيكون الأديب أول من يدخل في علاقة مبنية على الحس التفاعلي مع السياسة وهنا يُخلق الإبداع المتميز والذي يكون الابن الشرعي لهذه العلاقة الإيجابية ، كما نجد الأدب مساندا للسياسة كيف لا وهذه الأخيرة من ترد النفس لروحه ،من خلال تلك الموضوعات التي تمدها إليه ،فيكتب عنها وتتنوع الانتاجات الأدبية ،حيث" نقرأ ونسمع قصائد أحمد فؤاد نجم التي كان يتغنى بها الشيخ إمام، ويغنيها الطلبة والعمال في تظاهراتهم ،و" لا تصالح" لأمل دنقل التي تمثل أيقونة الرفض للتصالح مع العدو الصهيوني ،كانت المقاومة الفلسطينية_واللبنانية فيما بعد_ ملهمة وكتب عنها قصائد وروايات ،بل برز ما يعرف بشعر المقاومة (خط محمود درويش وسميح القاسم و توفيق زياد) ورواية المقاومة وقصصها عند غسان كنعاني وإيميل حبيب "[1].

وهذا ما يثبت دعم الانتاجات الأدبية للمواقف السياسية ،حيث يتخذ الأدب من السياسة موضوعا له ،وتتخذ السياسة من الأدب سلاحا خاصا لنشر الوعي بين الشعوب وأفراد الوطن الواحد، وبالتالي ليس شرطا "أن يكون كل سياسي مبدع (أي شاعر ،أو أديب ) ولكن كل مبدع هو سياسي ،وإبداعه يعبر عن السياسة (بشكل صريح أو ضمني )(...) وهناك مبدعون انتموا لرؤى سياسية وكانوا في أحزاب سياسية، سواء على مستوى منطقتنا أو العالم (خلق مصطلح المبدع الملتزم ) أو ما أطلق عليه جرامشي المثقف العضوي (...)[2]" حيث أن المبدع يمكن أن يكون أديبا وسياسيا في نفس الوقت ،وذلك نظرا لانفتاحه على مختلف شؤون الحياة ونظرته العميقة لها، فهو أديب من خلال إنتاجاته الأدبية التي تحث على التغير ،ويمكن أن يكون سياسيا من خلال قدرته على تجسيد ذلك التغيير الذي كان يتحدث عنه في انتاجاته ، وبالتالي يفتح آفاقا جديدة لأفراد مجتمعه ،ضف إلى ذلك أن غاية كل مبدع أن يرسم ملامح الحياة التي ينبغي أن يكون عليها الواقع ،ولو كان سياسيا لحقق

[1] ممدوح مكرم، عن الأدب والسياسة، ضمن الموقع الاكتروني M.AHEWA.ORG، 2021/4/26، 17:29.

[2] الموقع نفسه.

ملامحها وجسدها على أرضه ،ولا يكتفي فقط بالحديث عنها في انتاجاته الإبداعية فهو في الأخير فرد من أفراد مجتمعه ويعبر عن رغبة الجماعة

**ب. الناحية السلبية :**

لو أردنا الحديث عنها فإن الأمر يطول ، خصوصا وأن الكل منا يعرف بأن السياسة يغلب عليها الطابع الديكتاتوري ،فهي تطمح دائما إلى تحقيق أهداف خفية على حساب الشعب ،بينما يكون الأدب المدافع الأول عن الجماعة، لذلك نجده يحاول رسم صورة الحياة التي ينبغي أن يحياها الأفراد ،وإقناعهم بضرورة التغيير، وذلك من خلال الإنتاجات الأدبية المدافعة عن الحريات الفردية وعدم الرضا بالظلم والقهر الذي يمارس ضد الإنسانية وحتى يكون هذا الكلام أكثر إقناعا ،كان لابد من جمع بعض الأدلة التي تثبت سلبية هذه العلاقة وبالتالي نجد ما يسمى" بالأدب السلطوي والذي ينقسم إلى نوعين:

- أدب سلطوي ملتزم بأبواق السلطة (أو آداب الدعوى ) والذي يحاول أن يسوق إيديولوجية السلطة وقراراتها.
- أدب سلطوي لا يطمح في مناصب وامتيازات لكنه لا يستطيع تجاوز طبقته والانغلاق فيها"[1] ؛أي أن صاخب هذا القول يرى بان سلبية العلاقة بين الأدب والسياسة ليس في تعارضهما بل في اتفاقهما مع بعض أين يصبح الأدب وسيلة يتم استغلالها من قبل السلطة ،لتحقيق أهدافها الخفية والتي لا تقدم مصلحة الشعب ، بدلا من أن يكون الأدب تلك الرسالة القيمة التي تحمل أهدافا نبيلة بدفاعها عن حقوق الأفراد ، بالتالي فإن هذه العلاقة السلبية تفقد الأدب قيمته وجماليته ،كما تفقده مصداقيته

من بين الأدلة التي تؤكد أن السياسة لها أهداف خفية وتشغل الأدب من خلال "سحب السياسي إلى تحويل كل أشكال المعرفة إلى إيديولوجيا تبريرية ،يتكئ عليها في عمله

[1] علي منصور، البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة، ص29.

اليومي، ويشتد إليها كل سقوط وإلغاء كل نقد محتمل [1]،أي أنه يشغل الأدب لخدمة المصالح الخاصة، فيجعل من الأدب وسيلة لتدعيم أفكاره ونشر شعاراته ،ويكون الإبداع خادما وفيا لإيديولوجيته ،لكن في بعض الأحيان تكون السياسة المعارض الأول للأدب خاصة إن كان هذا الأخير لا يتماشى مع ما تقتضيه "وكثيرا ما يتعارضان فتعمل السياسة على احتواء الأدب ،فإن لم تستطع لجأت إلى قمعه وما أكثر الأمثلة عن القمع _في تاريخ الآداب العالمية _ وخاصة الأدب العربي قديمه وحديثه ،لكن الأدب برؤياه السابقة لعصره دائما وتطلعه إلى التغيير ،فغالبا ما يقاوم الاحتواء ويقف في وجه الظلم والقمع ،ولا يستسلم بسهولة بل يكافح دافعا بالمجتمع إلى التغيير وهي الرسالة الحقيقية التي يحملها الأدب على عاتقه[2] " ؛ من خلال أنه يسعى إلى نشر الوعي وفضح السكوت عنه وهذا ما يجعله يقع في تصادم معها ،فتحاول بكل أساليبها طمس ما يدعيه ،بعد أن فشلت في جعله مؤيدا لها وهنا يبرز الدور الفعال له، من خلال رفضه أن يكون طعما سهل المنال موجها رسالته إلى النخبة المثقفة التي يأمل من خلالها أن تستجيب لنداء المبدعين المناضلين محاولا تقديم صورة على ما ينبغي أن يكون عليه الواقع ، وبالتالي فإن الأدب في أغلب تمظهراته نجده يمجد الذات الإنسانية ويتغنى بها ،حيث يضع الذات الإنسانية في قلب المركز ،أما ما تمليه السياسة فيضعه في الهامش ،محاولا بذلك مواصلة كفاحه ،والحفاظ على سمعته في الساحة العالمية ،وانطلاقا مما سبق ذكره بخصوص إيجابيات وسلبيات هذه العلاقة هناك من يرى بأن العلاقة بين الأدب والسياسة متداخلة ومعقدة يصعب الفصل بينهما وتحديد من الأصدق وأيهما يتخذ من الأهداف الخفية سبيلا له حيث أحطنا ببعض الآراء حول هذه القضية ،فوجدنا من أثر بأن كلا من الأدب والسياسة له مصلحة خاصة، فأن كانت السياسية تعتمد على أساليب مكشوفة ومألوفة عند الجميع ومتفقون عليها فإن الأدب ظاهره صائب وباطنه

[1] علي منصور، البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة ، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص34-35.

لا يختلف كثيرا عن السياسة ولتوضيح ذلك أكثر فإن "المثقف يوظف رأس ماله الرمزي ،المتمثل في عمله(أدبه) وخبرته ، أو في منصبه ولقبه ،أو في قدراته الكلامية والخطابية،،يوظفه في ممارسته لمهنته التي تدر عليه منافع معنوية ومادية ،تتمثل في السلطان والخيرات ،أموالا ونقودا أو جاها ونفوذا"[1] ؛ فالمبدع لا ينبغي أن يخدعنا برسالته الأدبية مهما كان نوعها فهو كذلك يمارس نوعا من الحيلة على المتلقين،فعادة ما يكون هدفه الأسمى هو استقطاب أكبر عدد ممكن من القراء ،وبالتالي تحقيق الشهرة باسم الإبداع حيث يكون هذا الأخير وشاحا يتزين به الأديب وما خفي أعظم من ذلك ، وهنا نجد أن الكاتب لا يختلف كثيرا عن السياسي هذا الأخير الذي يسعى كذلك إلى إقناع أفراد مجتمعه بمختلف الحجج والأدلة محاولا التلاعب بذهنية هذا الشعب لقضاء حاجته، وهذا ما يفعله الأديب حيث "أن المثقف يقدم نفسه _عادة_على أنه صاحب رسالة،وليس صاحب غاية أو منفعة مباشرة ،فهو يعلن بأنه لا يبتغي سلطة،و إنما يدافع عن القيم والمقدسات _وهنا وجه الخداع_ فمهنة المثقف هي مهنة قوامها أن تخفي حقيقتها وتؤدي دورها تحت غطاء القداسة . وهكذا فالمثقف يزعم أنه يعمل على مقارعة السلكة السياسية فيما هو يعمل على منافستها على الشرعية [2]" ؛وبالتالي فإن الأديب يحاول تقديم صورة حسنة عن نفسه ،فتجده يتكلم عن القيم والمبادئ والأخلاق لكنه يتستر وراء هذه الادعاءات لبلوغ أهدافه الخاصة ،ولكن هذا التصريح لا يعني أن كل الأدباء سواسية ،فكما يوجد سياسي يرغب في خدمة بلده بصدق فكذلك نجد أديب يتخذ من العلم والمعرفة سبيلا للإرشاد وحسن التوجيه.

كما نجد رأي آخر يؤكد على تلاحم الأدب والسياسة والعلاقة بينهما أعمق وأشمل من أن نختصرها أو نحددها بالسلبية والإيجابية،فيما يعرف بالأدب السياسي والذي على امتزاج

---

[1] علي منصور، البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة ،ص33.

[2] المرجع نفسه ، ص33.

الأدب بالسياسة لأن الأديب يكتب عن الظروف والوقائع أو الأحداث السياسية الحاصلة في بلده ،في حين أن السياسة تشمل قضايا الإنسان وتهتم باحتياجاته[1].

كما تتوضح العلاقة أكثر بهذا الرأي الذي وقع اختيارنا عليه ومفاده أن " الأدب يستمد سلطته القوية من صعوبة السيطرة عليه فكما يقول الكاتب المسرحي الألماني بورتولد بريكن لا يمكن للسلطة السياسية أن تستولي على الأعمال الإبداعية، كما تستولي على المصانع كذلك لا يمكن الاستيلاء على أشكال التعبير الأدبي، كما يتم الاستيلاء على الرخص والتصاريح، فعلى الرغم من كل القيود التي تعرضها السلطات الحاكمة المستبدة على حرية التعبير فدائما ما يستطيع الأدب دون غيره أن يقاوم تلك القيود من اجل توليد المتعة وخلق الوعي[2]" فالعلاقة مبنية على الصراع فكل منهما يحاول فرض سيطرته على حساب الآخر، فالسلطة تعدت فرض أقوالها وتعميمها على كل شيء، لكن الأدب يرفض هذا الخضوع والاستسلام، وبالتالي إعلان التحدي عليها، ولعل خير مثال على ذلك " أن الأدب في تقويض أركان النظم الشيوعية في أوروبا الشرقية وذلك نهاية عاو 1989 وبداية عام 1990، وفي رومانيا شكل الأدب عاملا أساسيا من عوامل الثورة على نظام شاوشيسكو الفاسد، كما ساهم الأدب في التمهيد للثورة الفرنسية ولكنه فشل أيضا في بعض الأوقات وانتصرت السلطة الغاشمة بل وصل الأمر إلى محاكمة الكاتب ومثوله أمام القضاء في 18 فبراير / شباط 1964 اعتقلت السلطات السوفياتية الشاعر الروسي جوزيف برودسكي بتهمة الكتابة خارج الإطار المرسوم للأدب[3]" حيث تكون النتاجات الأدبية سببا وعاملا أساسيا في تغيير مجرى الأحداث السياسية، لكن في بعض الأحيان نجد أن السلطة تعارض مسيرة

---

[1] محمد صالح شريف عسكري مرتضى زارع برمي، شعر السجون في الأدب المعاصر –الأعمال الشعرية لحسن السيد نمودجا–مجلة دراسات في العلوم الانسانية، ع1، 2013، ص102.

[2] أسماء رمضان، صراع الأدب والسلطة حين تحاكم الأنظمة الاستبدادية، النصوص الروائية ضمن الموقع الالكتروني https://www.noonpo9t.com، 2021/4/28، 18:11.

[3] الموقع نفسه..

الأدب، فتسعى جاهدة لسد طريقه إما بسجن المبدعين أو بنفيهم وفي بعض الأحيان تكون نهايتهم الموت، وهذا على حسب درجة مخالفتهم للسلطة، وبذلك يقول عالم الاجتماع الأمريكي روبرت دال " سواء شئنا أو لم نشأ أن ينأى بنفسه عن الوقوع في دائرة من دوائر التأثير لنظام سياسي ما، فالسياسة هي حقيقة من حقائق الوجود الإنساني التي لا يمكن تجنبها"[1] حيث يرى صاحب القول أن السياسة تفرض وجودها في حياتنا وذلك أمر لا مفر منه سواء رضينا بذلك أم لم نرضى وبالتالي لا احد تخليص نفسه من تلك الإشعاعات التي لا تفرزها أجهزة السلطة علينا فتؤثر على ذهنيتنا سواء بالسلب أو بالإيجاب وهذا ما يؤكد على حتمية ملازمة السلطة السياسية لحياة الإنسان.

إن العلاقة بين الأدب والسياسة علاقة متشابكة ومتقاطعة يصعب الفصل بينهما " ومن هنا يجد الأديب نفسه ظاهرة اجتماعية تتقاطع بشكل كبير مع المملية السياسية وقد لحض الأديب المصري نجيب محفوظ هذا الأمر في عبارته الشهيرة " ليس هناك حدث فني بل حدث سياسي في ثوب فني" في إشارة إلى حضور السياسة كسياق عام في النص الأدبي"[2] وأن تجدر الإشارة أن بالعلاقة بينهما مبنية على التلازم، فإذا كانت السياسة تمثل قلب الحدث ونبضه فان الأدب الجسد الذي يحتوي على هذا القلب ويعبر عليه أو كما وصفها نجيب محفوظ حدث سياسي بثوب فني، فعادة ما يكون الثوب ذلك الستر الذي يحمي الجسد، فإن العلاقة بينهما أشبه بذلك، وبالتالي فحضورها في النصوص الأدبية أمر محتوم، فليس شرطا أن يصور الأديب السياسة في أحسن صورها، وقد تبرز السياسة في النصوص الإبداعية لكن بمساوئها وقد يبرزها الأديب بايجابياتها بحيث يكون بروزها أمرا مقصودا وفي بعض الأحيان قد يبرز الأديب السياسة التي ينتمي إليها لكن دون وعي، لأنه

---

[1] أسماء رمضان، صراع الأدب والسلطة حين تحاكم الأنظمة الاستبدادية، النصوص الروائية ضمن الموقع الالكتروني https://www.noonpo9t.com، 2021/4/28، 18:11.

[2] الموقع نفسه.

يبقى تحت تأثير مخدرها، ونتيجة لذلك التأثر فإنه يكتب عليها من دون قصد، فيصح تمظهر السلطة في النصوص الإبداعية يتراوح بين قصد ومن غير قصد.

إن الصلة التي تربط بينهما في اغلب أحيانها مبنية على التصادم والصراع، والكل منا يعلم حقيقة ذلك، وناذرا ما يكون الرابط بينهما متماسك " لهذا كانت السلطات السياسية تراقب دوما النصوص الأدبية، وتضع الشعراء و الأدباء تحت أعينها حتى لا يخرجوا عن حدودهم المرسومة سلفا"[1]، وهذا ما يؤكد لنا أن العلاقة بينهما جد متوترة، فلا ينبغي أن تخدعنا المظاهر لنستنتج في الأخير مما سبق ذكره من الآراء المختلفة، هذه الأخيرة التي نجدها أحيانا تقر بان حقيقة العلاقة بينهما ايجابية، متمثلة في خدمة مصالح بعضهما البعض، و أراء أقرت بأنها سلبية، خصوصا في محاربة السلطة للنتاجات الأدبية بدل أن تعمل جاهدة لدعم روح الإبداع بالإضافة إلى أن هناك من يرى بأن الحقيقة التي تربط بينهما أعمق من أن نحصرها في كلمة ايجابية أو سلبية خصوصا و أنها علاقة معقدة لا يستطيع حل شفراتها إلا من كان له عين ثاقبة وعميقة في كلا التخصصين أي الأدب و السياسة.

[1] أسماء رمضان، صراع الأدب والسلطة حين تحاكم الأنظمة الاستبدادية، النصوص الروائية ضمن الموقع الالكتروني https://www.noonpo9t.com، 2021/4/28، 18:11..

# الفصل الثاني: دراسة نفسية تحليلية لترك السّجين في خضم أدب السّجون

2-1 تحديد الشخصيات البارزة في العلاقة الّتي تربط بينها.

2-2 مفارقة الفضاء المكاني في المعاناة شاهد أم متهم.

2-3 الأدلة الّتي تثبت المعاناة النفسية داخل السّجن.

2-4 بعض الإجراءات المقترحة في كيفية تعامل موظفي مع المساجين.

إنّ السّجن في العموم يرمز إلى تلك المؤسسة التي تعاقب المجرمين، بحجة تأديبهم وإصلاحهم وبالتالي حماية المجتمع منهم وهذا ما تّم الإشارة إليه في الفصل السابق من دراستنا، لكن السّجن في بعض الأحيان يتحول إلى مؤسسة ظالمة تمارس بطشها واستبدادها ضد الضعفاء، هؤلاء الذين دخلوا السجن لكن ليس بفعل إجرامي أو قضية فاحشة، وإنّما صنفوا ضمن قائمة المساجين لتعبيرهم عن آرائهم ولرفعهم راية معارضة لما فرضه عليهم واقعهم البائس، فيمارس عليهم السجن أقصى أنواع العقوبات، متجاهلا حقيقة الإنسانية وأن احترامها يبقى أمرا مطلوبا، وعدم المساس بكرامتهم يبقى مطلبا واجبا، ليس هذا فحسب فالسجن يكون سببا في ترك "**معاناة نفسية**" عميقة لا يزول أثر بصماتها مهما مضت السنوات، وهذا ما نحن بصدد الاشتغال عليه في هذا الفصل، من خلال محاولتنا البسيطة في تدارك معاناة السجناء، لكننا نفضل تسميتهم بأصحاب الرأي، لأن كلمة المساجين تدل على أولئك الذين ارتكبوا قضايا في حق الإنسانية، لكن في هذه الحالة أصبحوا هم الضحايا أنفسهم ؟!.

تعتبر "**رواية حورية في السجن**" لمؤلفها "محمد شوقي" من بين النتاجات الأدبية التي تركت صداها في الساحة الأدبية، ليس هذا فقط بل تركت أيضا بصمة عار في الساحة السياسية خصوصا بكشف حقيقة السجن والعقوبات التي تسلطها هذه المؤسسة في حق أصحاب الرأي؛ هذه النخبة المثقفة الّتي سعت إلى إحداث التّغيير للأحسن، فتحول هذا التّغيير إلى جحيم عايشه هؤلاء بعد أن كان حقا مشروعا أن يطالبوا به، فانقلبت حياتهم رأسا على عقب، وقد صورت لنا هذه الرواية "**معاناة نفسية بنكهة كشف حقائق سياسة**" مصورة لأحداث السجن تصويرا دقيقا، وقد اعتمد هذا الإنتاج الأدبي على شخصيات بارزة الدور حركت أحداثه وتفاعلت معها ولعلّ أبرز

شخصية هي «شخصية الكاتب "حسن محمد الحداد" السجين السياسي المحكوم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة التظاهر وإثارة الشعب ومحاولة قلب نظام الحكم (...)»[1]، وغيره من الشّخصيات الّتي حركت الحدث الرّوائي وجعلت الصورة أقرب وأوضح إلى أذهاننا، ونحن الآن بصدد تحديد هذه الشخصيات وعلاقتها ببعضها البعض:

**1.تحديد الشخصيات البارزة والعلاقة التي تربط بينها:**

- **حسن محمد الحداد:** «هو مهندس حديث التخرج (...) نزل إلى الشارع مطالبا بحقه في العيش الكريم و العدالة (...) كان له حلم بسيط أن يتخرج من كليته ويكون مهندسا نافعا لأهله و بلده»[2]. شأنه شأن أي طالب متفوق يطمح أن يكون له مكانة محترمة في المجتمع متطلع إلى غذ أفضل هذا المستقبل الذي لطالما راود مخيلته ساعيا إلى تحقيقه، آملا أن يجني ثمرة جهده، وأن يكون عضوا نافعا لأهله ووطنه.

هو «السجين السياسي، المحكوم عليه لمدة ثلاث سنوات بتهمة التظاهر وإثارة الشغب ومحاولة قلب نظام الحكم ويقضي مدة العقوبة بالسّجن المشدد بوادي النطرون»[3].

- **هبة الغراب:** طبيبة خاصة بسجن وادي النطرون – أخصائية في طب الأسنان– عرفت بمواقفها النّبيلة وشهامتها في الوقوف مع الحق، وتدخلها في قضية حسن الحداد ومحاولة تقديم العلاج له بالدرجة الأولى ومحاولة تخليصه من قضبان السجن بدرجة ثانية، ومن بين المواقف التي تشهد على جرأتها في مواجهة الظلم تدخلها أثناء وقوع شجار بين حسن الحداد والشاويش، هذا الأخير الذي لا يكترث لأمر السجناء المرضى، لكنّها وكطبيبة مخلصة في عملها حاولت تقديم حل استعجالي للمريض حسن الحداد، وتهديد الشاويش برفع دعوة إبلاغية

[1]– محمد شوقي أبو ذكرى، حورية في السّجن، يسطرون، مصر، د.ط، 2017، ص10.

[2]– المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

عنه[1]، كما عرفت برأفتها اتّجاه السّجين وشعورها بالعجز عن تقديم شيء له بخصوص ترميم ضرسه[2]

**أ-العلاقة التي تربط حسن الحداد مع هبة الغراب حسب الرواية:**

هبة الغراب من بين الطّالبات و الطلاب الّذين تخرجوا في الدفعة التي تخرج فيها حسن الحداد، غير أن هبة تخرجت من كلية الطب، بينما حسن تخرج من كلية الهندسة، كلاهما شاركا في حفل التخرج، أين كرّم طلبة الجامعة المتحصلين على درجة امتياز وبطبيعة الحال كان حسن وهبة من الأوائل، حيث ألقى كلمته في هذا الحفل التكريمي[3]، فحملت كلمته في طياتها حث النخبة المثقفة على ضرورة التغيير والسعي لمكافحة الظلم، الذي كان مسلط عليهم في تلك الفترة من قبل النظام، وهنا تحول الحفل التكريمي إلى كابوس يلاحق حسن الحداد، وقد تمثّل في تشديد الرقابة عليه من قبل السلطة واعتباره من المشاغبين الّذين يحاولون قلب النظام والمساس باستقرار السلطة[4]، فبدأت الأحداث تتأزم وشاءت الأقدار أن تكون هبة الغراب الشاهد العيان على الخطر الّذي يحوم حول حسن الحداد، فحاولت مساعدته من باب الإنسانية[5]، لكن حسن لم يسلم من مخالب النظام وانقضت عليه، ليكون من السجناء السياسيين الذين زج بهم في سجن "وادي النطرون" المشدد، والصدفة الغريبة ان هبة كانت طبيبة في نفس السجن مختصة في طب الأسنان وهي من عالجته وكانت له السند الحقيقي في فك محنه داخل هذا الجحيم[6] وكان حسن يرى فيها الملاك الذي نزل إليه من الجنّة حتّى لقبها " بحوريتي"، وغالبا ما كان يردد قائلا: «حورية من الجنّة نزلت السّجن فجأة...بس مش عارف ليه سابت الجنّة[7]..؟!!»

---

[1]- محمد شوقي ، حورية في السجن، ص14.

[2]- المصدر نفسه، ص19.

[3]- المصدر نفسه، ص38.

[4]- المصدر نفسه، ص44.

[5]- المصدر نفسه، ص 45-48.

[6]- المصدر نفسه، ص14.

[7]- المصدر نفسه، ص28.

فتقاسمت معه هبة كل معاناته داخل السجن، ليس هذا فحسب بل ساعدته في العثور على ابنته حُرّية، وبعد مدة استطاع حسن الخروج من السجن بعد صبر ومعاناة وإصرار، لتكون مفاجأة القدر أن يتزوج حسن من هبة[1]، ليكون كلاهما أقوى ثنائي فجرا أحداث الرواية تاركين أعمق بصمة نفسية في نفوس القراء.

**ب-العلاقة التي تربط هبة الغراب بحسن الحداد:**

علاقة قوية ورغبة هبة في مساعدته لم تكن رغبة عابرة، بل كانت تتزايد باستمرار، فإذا أردنا تسليط الضوء على ظاهر هذه العلاقة لوجدناها علاقة مبنية على الجانب الإنساني المتمثل في حب هبة لفعل الخير والإخلاص في عملها كطبيبة تساعد أي سجين.

لكن لو تعمقنا في حقيقة الرابط القوي الّذي يجمع بينهما لوجدنا أن هناك حقائق ومشاعر مكبوتة في قلبها، هذا الكبت الّذي لم يظهر بصورة واضحة في الواقع بل ظهر لها في الحلم الذي رأته في منامها:

رأت نفسها تائهة في الصحراء(...) فسمعت صوتا يستغيث، فسارت باتجاه هذا الصوت(...) كان هناك شخصا يرتدي سترة زرقاء، هي سترة السّجن المحكوم عليهم، وكان هذا الشخص داخل قفص حديدي(...) ليس له باب! وكان المحبوس داخله يتحرك بعشوائية (...) ينادي هبة (...) اقتربت منه (...) فانقطع الصوت (...) رأت السّجين يتعبد الله عز وجلّ... سقطت فجأة على الرّمل من شدة تعبها(...) بعد ذلك سمعت صوت طفلة تبكي بشدة(...) اتبعت هبة مصدر الصوت (...) فإذا بالطّفلة الصغيرة واقعة في بئر(...) حاولت هبة إنقاذها (...) فإذا بالصوت الأول يناديها (...) عليك بإنقاذها يا هبة[2].

يمكن أن نعتبر هذا الحلم بداية للوصول إلى حقيقة كانت مؤجلة، كما يمكن أن نعتبره دليلا نفسيا على رغبة هبة في مساعدة حسن واهتمامها الذي منحته إياه دون أن تعي حقيقة ذلك، إنّه

[1]- محمد شوقي ، حورية في السجن ،ص387.

[2]- المصدر نفسه ، ص58-62.

اللّاشعور حين يفرض سلطته على الشعور فتكون الصور والأحاسيس الّتي تجتاح أذهاننا ما هي إلا استجابات لا واعية، وقبل الخوض في الحديث عن فكرتنا البسيطة اتجاه هذا الموضوع، كان لابد علينا من جمع أدلة علمية نفسية تساعدنا على معرفة ماذا يعني الحلم وكيف تكون تمظهراته اللّاواعية؟ وبذلك فقد جمعنا بعض الأدلة النفسية من أخصائيين نفسانيين ولعل أشهر علماء التّحليل النّفسي "سيغموند فرويد"، هذا الأخير الذي أحطنا ببعض أقواله وآرائه بخصوص موضوع الحلم، مشيرين إلى مقتطفات من مفاهيم هذا العالم النفساني حول موضوع الحلم، وكيف يحتل اللاّشعور الصدارة في غياب الشعور « إنّ فرويد قد أدرك في وقت مبكر أن الحلم يمثل الإنجاز المتنكر لرغبة منسية – أو على الأقل محاولة إنجاز– الّذي يأتي ليضاف إلى تحقيق أمنية أكثر راهنية، باستعمال عناصر وأحداث اليوم السابق، وبتساؤله عن الأسباب التي تجعل الأمنيات السّرية (التفكير المستمر) تتحول لتؤلف قصة، هذه القصة بلا رأس ولا مؤخرة، هذه السلسلة الغريبة من الصور والأفعال والأقوال التي نعرفها جميعا (المحتوى الظاهر) كان فرويد قد توجه إلى وضع الحلم في نفس مستوى العرض بحثا له عن أصل، عن قيمة، عن دلالة غير تلك الّتي تضمن حماية النوم ضرورة بيولوجية[1]».

أي أنّ الحلم في نظره هو تحقيق ما كنا نأمل تحقيقه، فعادة ما يحلم الإنسان أنّه نجح مثلا كرغبة كامنة داخله أو كإنجاز فشل سابقا في إنجازه، أو قد يكون الحلم تمظهرا لاشعوريا يعبر عن حقيقة رغبة مدفونة في العالم الباطني، هذه الرغبة الّتي يسعى الشخص إلى تحقيقها على أرض الواقع، وفي الغالب يظهر لنا الحلم على شكل أحداث غير مرتبة أو منظمة في أماكن قد تكون معلومة عند الحالم أو قد تكون غريبة عنه، وفي زمن يصعب تحديده بالضبط، لأنّ العالم الباطني أساسه الإفصاح عن الكبت الداخلي، فيحاول الحالم تفسير هذا الحلم بالعودة إلى تكهنات ومحاولة فهم شفراته وتفكيكه لفهم معناه.

[1]– جان بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، تر:حسن المودن، مطابع الأهرام، كورنيش النيل، مصر.د.ط، 1997، ص23–24.

إنّ ما تحدث عنه "فرويد" بخصوص تمظهرات الحلم أثناء النوم ورغبة الحالم في البحث عن قيمة أو دلالة له ما هو إلاّ خير دليل على ما حدث مع هبة الغراب حيث رأت ذلك الحلم في الصحراء وهي تحاول إنقاذ حسن الحداد وابنته حرية، لكنّها لم تستوعب ما رأته لأنّها رأت مقتطفات من رغبتها المدفونة في عالمها الباطني ألا وهي محاولة إنقاذ حسن الحداد ومساعدته ومساندته داخل السجن بعد أن رأت معاناته أمام عينيها في المستشفى، وهبة لا يختلف حالها عن حال الكثير من الناس فبمجرد رؤيتها لذلك الحلم توجهت مباشرة إلى أبيها لكي يساعدها على تفسيره وإعطاء فرضيات تحتمل الصدق كما تحتمل الكذب، فكانت تجتاحها رغبة كبيرة في معرفة حقيقة هذا الحلم، فقالت له: « الغريب الحلم اللّي شوفته امبارح واللّي بسببه معرفتش أنام طول الليل (...) حكت له ما رأت بالتفصيل عن الصحراء ... القفص...البئر...الحبل...حسن...الطفلة(...) وفي انتظار تجميع النّقاط وربطها ليخبرها بحقيقة الأمر(...) بصي يا هبة تأويل الأحلام شيء اجتهادي يعني ممكن يحصل التفسير وممكن لأ[1](...)» وقد حاول "مجدي الغراب" تفسير حلمها وفك شفراته لعلّها تفهم حقيقة العلاقة التي تربطها بحسن الحداد[2].

«تستند نظرية اللّاشعور كلها (...) إلى وصف بعض الميكانيكات الدّقيقة، والحال أنّ الحلم الّذي يعالجه المحلل هو المحكي الّذي ينتجه الحالم في حالة اليقظة بدءً من اللّحظة الّتي يسرد فيها وعيه، فما رأيناه وسمعناه وتحملناه وتكبدناه بل وما فكرنا فيه أحيانا، في غضون وضع أقل تيقظا، لا ندركه إلّا حين نتذكر وقت اليقظة، نحكيه لأنفسنا ويمكن حكيه للآخرين، إنّه من اللفظ إنّه قبلا هذا الّذي تسميه اللّسانيات الملفوظ السردي»[3]، أي أن المحلل يفسر الحلم انطلاقا مما يقوله الحالم، هذا الأخير الّذي يسرد حلمه وهو المحكي وفعل الحكي هو فعل واعي يقوم

[1]– جان بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، ص78– 79.

[2]– المرجع نفسه،ص79.

[3]– ، جان بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب ص24.

به الحالم بعد استيقاظه من حالة اللاوعي، وانتقاله إلى حالة واعية تمثلت في استرجاعه لما رآه في الحلم وسرده له، باحثا عن تفسير مقنع لما رآه في حلمه. وبالتالي فإنّ «اللاشعور هو الجزء الأهم من وجهة نظر فرويد، حيث يمثّل الجزء الأعمق من العقل والبعيد عن الوعي، حيث تكون محتوياته لاشعورية، وعادة ما ترتبط برغبات الأحداث الماضية (...)»[1]، أي أنّ "فرويد" اهتم بدراسة اللّاشعور دراسة عميقة مع بيان كيفية عمل هذا العالم الباطني في ظل غياب الرّقابة الواعية.

ومن خلال ما تم الإشارة إليه بخصوص حلم هبة يمكن القول «إنّ الحلم والتعلق الجسدي النفسي في الهيستيريا، وفلتة اللّسان والنّكتة والهفوات الّتي هي أفعال ناجحة، من وجهة نظر اللّاشعور، إنّ كل ذلك هو بمثابة أعراض تسجل من خلال لغة العقل اللاّواعية والمتحررة(...) يكمن مبدأ الحلم في البحث عن تحقيق رغبة معينة»[2].

فأفكار الإنسان، ومحاولته لتحقيقها، تظهر له على شكل أحلام، وفي شكل هستيري، متفاوتة الدرجات من شخص لآخر.

«الأحلام تُنفذ مجموعة توابع تكون واقعة في اتصال وثيق بين الحياة من جهة وبين المخ من جهة أخرى، والحياة والمخ أيضا في تفاعل دائم مع بعضهما، علما أنّ الحياة ما هي إلا إدراك المخ لتجانسك الفضائي، ويمكن للحياة بهذه الطريقة أيضا أن تزود المخ بالمعلومات ويستعمل الحُلم كذلك في كل المجالات النّفسية بما أن في ذلك المعالجة»[3].

---

[1]– نعيمة غازلي تمعزوزت، نصيرة طالح، نقد نظرية التحليل النفسي لفرويد وبيان ما يتوافق ولا يتوافق مع المجتمعات العربية الإسلامية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد27، ديسمبر2016، ص29م

[2]– كاترين كليمان، التحليل النفسي، تر: محمد سبيلا وحسن أحجيج، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،المغرب، د.ط، 2004 ص98.

[3]– ايمي بوليس، بيل هينكين، فن العلاج النفسي، تر: معين خويص، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط2، 2003 ص106.

فالمخ ينسج أحلامًا، هي ليست عدم، بل نابعة من قلب الحياة المعاشة؛ حيث أن الأحلام تعد جزء من المعالجة النفسية.

وبذلك نجد أراء "فرويد" متنوعة حول قضية الأحلام فقد «فسر فرويد الأحلام على أنها أفكار باطنة للشخص الحالم، وظهرت بعينها في النوم (...) إنه يرى الأحلام مظهرا للأفكار الباطنة فقط، أي أن فرويد حصر جميع الأحلام بخاصية نفسية واحدة هي أنها مظهرا للوجدان الباطن»[1]، أي أنّ "فرويد" يرى بأن الأحلام هي التّمظهر اللّاوعي لما يخفيه العالم الباطني في نفس الإنسان وكل ما نراه في أحلامنا ما هو إلا ترجمة حقيقية لما نخفيه في صدورنا أو ما دفن فيها منذ سنوات.

وبعد إشارتنا لعلاقة هبة الغراب مع حسن الحداد، أردنا حط الرحال في إحدى محطات هذه الرواية ونسلط الضوء على شخصية أخرى هي:

**مجدي الغراب:** كان يعمل مهندسا مدنيا في دولة الكويت، عرف بحبه وتعلقه بالقراءة مما أكسبه ذلك ثراء لغويا وفكريا ساعده على أن يكتب الشعر والنثر[2](...). دلالة على أنه شخص مثقف له فكر واعي وناضج.

**ج-العلاقة التي تربط بين مجدي الغراب وهبة الغراب:**

مجدي الغراب هو أب هبة تربط بينهما علاقة قوية، علاقة مبنية على المحبة والثقة ومشاركة الأب كل ما يحصل مع إبنته الوحيدة، فلا تخفى صغيرة ولا كبيرة إلّا وتبادلا أطراف الحديث حول ذلك، فكانت هبة ترى في أبيها السند الوحيد وتخبره بكل ما يحصل معها في السجن[3]، ومن بين الأدلة التي تكشف وتشهد عن حقيقة هذه العلاقة أن الأب لا يستطيع الأكل

[1]- نعيمة غازلي تمعزوت، نصيرة صالح، نقد نظرية التحليل النفسي لفرويد وبيان ما يتوافق ولا يتوافق مع المجتمعات العربية الإسلامية، ص38.

[2]- محمد شوقي، حورية في السجن، ص23.

[3]- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

من غير ابنته قائلا:« لسه كنت مستنيكي لما تجي !! هو أنا أقدر آكل من غيرك يا هوبا؟!»[1] وهذا دليل على طيبة العلاقة التي تربط بينهما، وهناك أدلة أخرى تثبت ذلك ومن بينها: حين قال لها:« يلا الأكل جاهز يا دكتورة قدامك خمس دقائق وهلم الأكل »[2]، لما نجد هبة تبادله نفس الشعور من حب واحترام «اقتربت منه وسرقت قبلة من خذه الأيمن وهي تتأهب للجلوس بجواره فأشار بإصبعه مبتسما: كان فضلك ثلاث دقايق على فكرة... ده نظام يا دكتورة... إحنا بنهزر ولا إيه؟ مدت يدها في أطباق المائدة(...) كنت متأكدة أن هوبا حبيبتك مش هتهون عليك. بعدها أردف متحمسا: قوليلي بقى واحكي لي إيه اللي حصل النهارده في السجن؟(...) قصت هبة ما حدث بالتفصيل (...) استمع لها بإصغاء تام وبدون انقطاع[3] (...) وهذا يعكس لنا طيبة معاملة الأب لإبنته، هذه الأخيرة التي كانت نعم الابنة من حسن المعاملة والأخلاق إتجاه الأب، وهذه العلاقة لا تختلف عن حال الكثير من العلاقات، فأغلب العلاقات الّتي تكون بين الابنة ووالدها.

و بعد الإشارة إلى هذه العلاقة، وقع اختيارنا على شخصية أخرى بارزة في الرواية:

***مريم الحداد:**

« مريم ذات روح طيبة، ليس لها علاقة بالسياسة ولكن صنعتها المحن (...) تدرس في كلية التجارة جامعة بنها وقد اجتازت عامها الأول بتقديرها امتياز»[4].

**د-العلاقة التي تربطها مع حسن الحداد:**

« مريم هي أخت حسن الوحيدة والصغيرة، تولى أمرها بعد أن مات والدها(...)»[5]، تربطها علاقة قوية به، ولا تستغني عنه مهما كان ثمن ذلك، وهنا تتوضح معالم الأخوة الطيبة، حيث

---

[1]- محمد شوقي، حورية في السجن،ص23.

[2]- المصدر نفسه، ص29.

[3]- المصدر نفسه ، ص30-31.

[4]- المصدر نفسه، ص65.

[5] المصدر نفسه، ص23، ص64.

كانت مريم هي السند والمدعم الأول له[1]، كانت مريم تزور حسن كلما سمحت لها الفرصة «ليس عندها أهم منه حتى ولو قورنت بين حياتها الجامعية ومستقبلها ونفسها وبين أخيها لاختارت حسن»[2].

رغم قساوة المسؤولين في مؤسسة السّجن وتعذيبهم للسّجناء السّياسيين وممارسة أقسى أنواع العذاب في حقهم، إلّا أنّ هذا لم يمنع من وجود أصدقاء داخل السّجن، وكما يقال الصديق في وقت الضيق، وهذا بالفعل ما حدث مع حسن الحداد وعاشه أيام مكوثه في السجن، أين تعرف على أصدقاء كانوا له السند الحقيقي، أو اليد الّتي رفعت راية الدّفاع عنه في الوقت الّذي بترت فيه معنويات حسن الحداد، ومن بين الشخصيات التي تركت أثرا نفسيا بفعل مساعدتها لحسن نجد صديقه:

**إبراهيم:** صيدلي حديث التخرج، ليس له ايديولوجية فكرية متعصبة[3].

**هـ-العلاقة التي تربطه مع حسن الحداد:**

إبراهيم من بين السّجناء السّياسيين الّذين تعرف عليهم حسن وقد أصبح صديقا له، لكن ليس كأي صديق، فإبراهيم بصيص الأمل الذي يحيا به داخل قساوة السجن وذلك بعد هبة الّتي يرى فيها الغد الجميل، فكان يروي لابراهيم ما يحصل بينه وبين هبة وما حصل معه أثناء ذهابه للمستشفى من أجل علاج ضرسه[4]، ولم ينس حسن الحداد إخباره بذلك الموقف النبيل الّذي فعلته هبة من أجله في المستشفى[5]، ولعل خير دليل على مساندة إبراهيم لحسن الحداد

---

2محمد شوقي، حورية في السجن ، ص65.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]المصدر نفسه ، ص27.

[4] المصدر نفسه ، ص27 ص28.

[5]المصدر نفسه ، ص23، ص55، ص56.

قوله: «لازم طبعا نقف مع حسن، مش هنسيبه لوحده(...) لازم كل واحد فينا يتخيل إنه في مكانه، أكيد كلنا هنقف معاه»[1] وقد كان لكلام إبراهيم أثرا في نفوس أصدقاء حسن الحداد هؤلاء الذين كانوا معه في الزنزانة رقم(7)، فبعد دخول حسن السجن الانفرادي قرر أصدقائه الدخول في الاضراب ومحاولة ايصال صدى رسالتهم إلى خارج السّجن، لعلّهم يجدون آذانا صاغية من قبل الصحفيين والمطالبة بحقوقهم، تدعيما لحسن وحقه في العودة إليهم، ومن بين الأصدقاء الذين استجابوا لنداء ابراهيم نجد: خالد، هشام، عادل فمنهم من قرر الدّخول في إضراب عن التعيين ومنهم من قرر الدخول في إضراب عن الأكل.

ومن هنا تتوضح لنا معالم الصّداقة الحقيقية، هذه الصّداقة الّتي نادت بصوت واحد أن السّجين السّياسي حسن الحداد من حقه العودة إليهم وتحريره من معاناة السجن الإنفرادي وإن كانت معاناة السجن واحدة لكن درجاتها متفاوتة.

ومن بين الشخصيات كذلك الّتي لها أثر بارز في الرواية نجد:

***الشاويش مبروك:** «رجل أربعيني (...) يرتدي بدلة عسكرية وباريه عسكري يستمد منه قوة وجبروت ترهب كل من يراه من السّجناء، يحمل عصا يستخدمها عند اللزوم بضربات على جسد من عارض أوامره أو أراد أن ينافس سكوته وجبروته»[2]؛ فهو لا يختلف عن أولئك الّذين يستغلون مناصبهم في ممارسة الاستغلال والاستبداد ضد الضعفاء، بحيث يكون الإخلاص في العمل آخر شيء ممكن أن يفكروا فيه.

***المسير:** «أحد السجناء الجنائيين، قد صنعته إدارة السجن ليعمل مسيرا داخل المستشفى وعوامل اختياره

- ✓ حسن المظهر و السمعة !

[1] محمد شوقي، حورية في السجن ، ص103.

[2] المصدر نفسه ، ص11

✓ ليس له سابقة تعاطي حبوب مخدرة! »[1]

ومن خلال ما تّم الاشارة إليه بخصوص أمر المسير نلاحظ أنّ مؤسسة السّجن عبثية في تعيين المسؤولين داخل مؤسسة السجن فكيف لمرتكب قضايا جنائية أن يكون مسيرا في إدارة السجن!.

**و-العلاقة التي تربط بين الشاويش مبروك والمسير:**

هما من أحد موظفي إدارة السّجن، كلاهما يدّعي تطبيق القانون وتشديد الرّقابة على المساجين والتّعامل بقسوة معهم، خاصة السّجناء السّياسيين، والدّليل على ذلك ما قاله المسيّر في حق حسن الحداد بخصوص مساعدة هبة له بعد أن سمحت له بالدّخول إلى قاعة العلاج «وكمان بتعامل السياسي معاملة خاصة هو مش كلنا مساجين ولا إيه؟! ومن ساعة ما جت والمصالح وقفت!!»[2] ، تفطن الشاويش ليما يقوله المسير وسأله عما يقصده بالمصالح؟ أجابه المسير: أن الكل لديه مصلحة خاصة، ولا داعي أن نكذب على بعض، وحتى يسكته ويخفف من حدة غضبه أعطاه علبة سجائر، فكانت كماء بارد أخمد نيران الشاويش وأنسته في أمر المصالح[3] دلالة على أن كل شخص يعمل في ذلك السجن إلّا وله أهدافا خفية يسعى إليها ولا يهمه أن يكون مخلصا في عمله أو مقصرا، فبمجرد أن يتحقق الربح المادي فلا شيء يرضي الضمير بعد ذلك !، ومن الملاحظ أن ظاهرة الرّشوة منتشرة بين المسؤولين في إدارة السجن وهذا دليل على الوضع الّذي يعيش داخله السّجناء السياسيين، مما زاد من اتساع بؤرة معاناتهم.

## 2 – مفارقة الفضاء المكاني في المعاناة شاهد أم متّهم:

عادة ما يكون السّجين في نظر الجميع هو ذلك الإنسان المجرم أو صاحب السّوابق العدليّة الّذي لا يؤمن له، خصوصا وأنّه مصدر خطر على المجتمع... لكن لا ينبغي لنا أن نظن بهذا

---

[1]– محمد شوقي، حورية في السجن، ص23، ص13

[2]– المصدر نفسه ، ص17.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الاعتقاد؟! فهناك سجناء دخلوا السّجن بكرامتهم، هؤلاء الّذين لم يكن لهم إلّا مطلبا واحدا هو السعي لإحداث التّغيير وبالتّالي تتحقق مطالبهم، فهم جزء من الوطن ومن واجب الوطن أن يحتضن أبناءه، لكن للأسف ونظرا لضياع كلمة الحق في ظل وجود الاستبداديين تلاشت الحقوق وتعالت الواجبات، فأصبح من واجب المواطن أن يصمت حفاظا على أمن واستقرار بلده وإذا قال كلمة الحق صنّف من المشاغبين والمهدّدين لأمن الوطن وكتب في خانة المغضوب عليهم؛ الّذين لا مكان لهم سوى السّجن وتسليط أقسى أنواع العقوبات عليهم، لكن السّؤال الجوهري الّذي ينبغي علينا أن نطرحه على أنفسنا: هل حقا من ينادي بحقوقه يصنف في خانة المجرمين؟ وانطلاقا مما سبق ذكره كان علينا أن نسلط الضوء على عينة من السجناء السياسيين، هؤلاء الذين نادوا بحقوقهم فما لبثوا إلا أن وجدوا أنفسهم يتخبطون بين قضبان السجن، وقبل أن نرصد المعاناة النفسية التي عاشوها وإزاحة الستار للكشف عن بعض الحقائق كان لابد علينا الاتيان بنموذج يحمل في طياته رسالة أحد السجناء السّياسيين والّتي كانت سببا في إدخالهم السّجن والّتي تعتبر المحطّة الأولى الّتي اندلعت منها صرختهم والّتي كانت سببا في دخولهم نفق المعاناة النّفسية وسنحاول الوقوف عند كل كلمة قالها السّجين السياسي رغبة منا في تقديم تحليل بسيط لهذا الخطاب، ومن جهة أخرى أن نفتح نقاشا حوله، وهل ما قاله السجين السياسي يستدعي إدخاله السّجن وتسليط العقوبة عليه أم أن دخوله للسّجن لشر دليل على حقيقة الظلم المتستر وراء شعارات السلطة؟.

وسنحاول الإجابة عن هذا الطرح البسيط بعد تسليط النّظر على هذا الخطاب:

يقول السجين السياسي حسن الحداد: « سعدت بوجودي معكم اليوم في هذا الحفل الكبير... أنا الأول على محافظة القليوبية (...) حبيت أوصل الرسالة لكل الطلبة والطالبات المتفوقين من كل محافظات مصر الحبيبة (...) رسالة نور وشعلة أرجو أن تحملوها وتوصلوها لكل الأحرار في محافظتكم، ليعم النور بلدنا الحبيبة. إن لم يكن علمنا وتفوقنا هو السبيل لرفع الظلم عن بلدنا فما قيمة العلم إذن؟ وكلكم ترون وتسمعون ما يمر به وطننا! سياط الجّلاد تجلد ليل نهار أظهر

الفقراء وتمتص دمائهم، ولا أقصد بالسّياط معناها الحقيقي، ولكن هو مجاز لفقراء غرقوا في وسط البحر وآخرين حرقوا في القطار وآخرين لحدوا في غياهب السّجون، فأصبح
قطار الأغنياء يسير بسرعة البرق مستمدا وقوده من دماء الفقراء في كل أرجاء الوطن، فلابد أن تجعلوا علمكم وتفوقكم سبيل العيش لهذا السّواد الأعظم من المصريين(...) اللهم بلغت اللهم فاشهد(...) وشكرا»[1].

هذه هي الرسالة الّتي وجهها حسن الحداد لكافة زملائه الطلبة والطالبات أثناء إقامة حفل تكريمي في الجامعة، حيث نلاحظ من خلال ما قاله أنّه كان من الطلبة المتفوقين أي أنّه من النخبة المثقفة الّتي ناضلت في سبيل العلم، وليس أمرا غريبا أن تصدر من هذه النخبة رسالة واعية وناضجة مثل هذه الّتي رصدتها أعيننا، رسالة كلها أمل ونظرة استشرافية لما ينبغي أن تكون عليه البلاد، معلنا جرأته وحثه لزملائه على محاربة كل أشكال الظلم السائدة أنذاك، فما فائدة العلم الّذي نتحصل عليه دون أن نعمل جاهدين في تحرير البلاد من قبضة الاستبداديين؟ فهو يرى بأنّ الكثير من الأشخاص الذين تحملوا الذل والإهانة قد ضاع مستقبلهم، أمّا النّخبة المثقفة فلا ينبغي لها السكوت بل عليها أن تحدث التغيير وأن تكون سببا في تحسين الواقع البائس بغية العيش بكرامة ووضع حد للاستغلاليين الّذين انتهكوا حقوق الفقراء.

هذه هي رسالة حسن الحداد لكافّة الطّلبة والطّالبات داخل الحرم الجامعي، والملاحظ عليها أنّها رسالة قيّمة، لا وجود لأي ملمح من ملامح الشغب، هي رسالة حق تأبى العيش في ظل الظلم والإهانة، لكن السّلطة اعتبرتها رسالة تحريض وإثارة الشغب في نفوس الطّلبة وللأسف كانت هذه الرّسالة سببا في بداية معاناة حسن الحداد وهذا ما سنتطرق إليه ونركز عليه.

فبعد أن تّم إلقاء القبض عليه كان حسن من السّجناء السّياسيين أو النّزلاء السّياسيين الّذين أدخلوا «الزنزانة رقم 7»[2] مكث فيها حسن أيام وبعد مدة مرض، حيث تمثل مرضه في ألم حاد

[1]– محمد شوقي، حورية في السّجن، ص38.

[2]– محمد شوقي، حورية في السجن، ص23، ص26.

على مستوى ضرسه ومدى معاناته بالليل فأصر على ضرورة الذهاب إلى مستشفى السّجن أين يتم علاجه، لعلّ معاناته تقل ولا ينتظر ليوم آخر قائلا: «أنا مش هتحرك من هنا غير لما أدخل للدكتور... أنا بموت من الألم»[1] وكان هذا الكلام أمام باب مكتب الدكتورة هبة. لكن حسن الحداد لم يكن يعرف بذلك كما أنه حتى عندما رآها لم يتذكرها وهي أيضا كذلك.

اقترب منه الشاويش قائلا: «شكلك كده ناوي تدخل التأديب النهارده!!»[2] ومن خلال قول الشاويش نجد بأنّ مسؤولي إدارة السجن يعاملون المساجين معاملة قاسية فحتى أبسط حقوقهم المتمثلة في العلاج اعتبروها مطلبا غير شرعي، وكيف لسجين أن يبقى يعاني من مرضه دون أن يأخذ دواء؟! فمهما يكن الإنسان السّجين مذنبا سواءا كان مجرما أو مشاغبا محرضا كما وصفوا حسن الحداد فليس عدلا أن يحرم كذلك من حقه في العلاج بحجة أن يعاقب على فعلته وهذا دليل على انعدام الرحمة اتجاه مرضى السجن، ولا يهمهم إن مات السجين أو ظل على قيد الحياة، المهم عندهم ألّا يعصي السّجين أوامرهم وأن يقابل كلامهم بالسّمع والطاعة، لأنّه مجرد عبد ضعيف تحت سيطرتهم، وما عليه إلا أن يلبّي أوامرهم سواء بقناعته الشخصية أو بالجبر.

بعد أن تفاقم الشّجار وارتفع صوت كل من حسن الحداد و الشاويش تدخلت هبة بعد خروجها من مكتبها محاولة مساعدة حسن من باب الإنسانية وكدكتورة لابدّ عليها أن تكون مخلصة في عملها(...) فأدخلته (...) بعد أن هددت الشاويش بالإبلاغ عنه وبعدها أخبرها السّجين بمرضه وما يعانيه[3].

لكنها أخبرته بأن مستشفى السجن «فيه معدات بدائية، لا ترقى لعمل أي ترميم لعلاج الأسنان المصابة، أقصى ما تملكه هو الخلع فقط، حتى الخلع يكون بدون تخدير لأنّ حقنات التخدير

[1]- المصدر نفسه ، ص14.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص19.

غير موجودة بالكليّة داخل المستشفى»[1] وهذا يعكس لنا مدى تردي الأوضاع داخل السّجن، وقلة المسؤولية وغياب الرقابة، كما يعكس لنا هذا القول الواقع المرير الّذي يحياه السّجين داخل هذه المؤسسة، والسّؤال الذي ينبغي على كل مسؤول أن يطرحه على نفسه هل يستطيع خلع ضرسه بدون مخدر؟!.

## 3.الأدلة التي تثبت المعاناة النّفسية داخل السّجن:

بعد أن ألقى حسن الحداد كلمته أمام الجميع ما هي إلّا لحظات حتى سلطت عليه الرّقابة وشاءت الأقدار أن تكون هبة الغراب الشاهد العيان على المكر والغدر الّذي سيكون مصيرا محتوما سيعيشه حسن(...)، حيث كانت هبة تنتظر صديقتها وهي تقف أمام باب الخروج الرئيسي(...) سمعت حوار دار بين ضابط من قوة تأمين الحفل وهو يرفع تقريره لرئيسه في العمل عما حصل في الحفل التكريمي[2]. قائلا له: «أيواه يا فندم الحفلة خلصت(...) وجميع قوات التأمين مستنية أمر مغادرة المكان(...) بس حصل حاجة غريبة يا فندم في الحفل(...) في واحد من الطلاب المكرمين إسمه حسن الحداد (...) من القيلوبية(...) طلب كلمة من مقدم الحفل(...) حرض فيها كل الحاضرين على النظام(...) ووصف الحاكم بالظالم... وقال عاوزين الكل يحمل شعلة العلم ضد الظلم(...) وخليت عيني عليه طول الحفل(...) وأمرت ضابط من قواتنا يحاول يجمع أكبر قدر من المعلومات عنه »[3]، وهذا يدلّ على الرّقابة المشدّدة على النّخبة المثقفة وتضييق حرية التّعبير عليهم، ليكون هذا الحوار الّذي دار بينهما يدل على بداية معاناة السّجين السّياسي حسن الحداد، حيث أن هبة «تابعت الموقف في ترقب، خمنت أنّ هؤلاء الأشخاص يخططون لإيداء حسن وربما القبض عليه»[4]، وبالتّالي بدأت بؤرة المعاناة النفسية

---

[1]-. محمد شوقي، حورية في السّجن، ص 43 -44.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[3]- المصدر نفسه ، ص44.

[4]- المصدر نفسه، ص45.

تتسع بتشديد الرقابة عليه كما أشرنا سابقا، وأحيانا تنقص حدّة هذه المعاناة بظهور بصيص الأمل والنّجاة من قبضة السلطة، ولعلّ الفضل يعود لهبة حينما حاولت مساعدته بإخباره بالخطر الّذي يحيط به من كل جانب، حيث حاولت ايجاد حل مستعجل له تمثّل في ذهابها إلى رئيس الجمعية، وهي كلها ثقة بنفسها أنّها تستطيع مساعدة حسن، وبالفعل فرئيس الجمعيّة استطاع أن يطمئنها واستطاعت هي أن تردّ النفس لروحه بعد أن قطعت أنفاسه بخبرها الصادم له وأن هناك أطراف من السلطة تريد القبض عليه لأنه مس بسمعة النظام[1]، بعد أن ظن كل من حسن وهبة أنّ الخطر قد زال وبعد أن أكد لهما رئيس الجمعية بأن لا شيء يستدعي للقلق، تملك الهدوء نفسيهما، وهذا هدوء ماقبل العاصفة فقد تم إلقاء القبض على حسن الحداد بتهمة محاولة إثارة الشغب وتحريض الشباب على الإنقلاب ضد النظام، وبالفعل فقد أدخل السّجن وبالضبط سجن وادي النطرون ليرى حسن من العذاب ما لم يكن في حسبانه.

للأسف فليس من حق السّجين أن يقارن نفسه بالمسؤولين، وأي مسؤولين؟ أشخاص غابت عندهم المبادئ وتبعثرت عندهم الرحمة على رصيف جمع الأموال والسّعي لتحقيق الأهداف الشخصية، فما الفائدة عندهم من الاهتمام بوضع السّجين؟ فكل ما يهمهم ألّا ينقطع نفسه حتى لا يتعرضون للعقوبات من قبل المنظمات المسؤولة عن حماية السّجين، وفي حالة ما تمّ الإبلاغ عن وفاة سجين تفتتح هذه المنظمات جملة من التحقيقات والتحريات عن سبب ذلك، أما طرق تعذيبه ومدة العقوبة المسلطة عليه فلا أحد يكترث لهذا الأمر، لأنّه وببساطة مؤسسة السّجن تمنع أي محاولة من قبل السّجناء في إيصال صدى رسائلهم لوسائل الإعلام، وهنا نلاحظ مدى وحشية هذه المؤسسة وانعدام ملامح الرحمة والإنسانية داخلها.

إنّ مؤسسة السجن لها نظامها الخاص من أكل وشرب ومن حيث تقسيم الزنازين... فسجناء الرّأي لهم أماكن مخصصة على خلاف أصحاب القضايا الجنائية وغيرها... فعادة ما تكون زنزانة السّجين السّياسي متميزة بلافتة مكتوبة، وهذا ما إلتمسناه في روايتنا ومثال ذلك: عنبر

[1]- المصدر نفسه، ص46، ص48.

سياسي «هنا مقابر أصحاب العقول المستنيرة، لهم معاملة خاصة، وإجراءات أمنية مشددة تمنع أي تواصل بالخارج»[1]، وهذا يؤكد لنا ما قلناه سابقا بخصوص تشديد الرقابة على المساجين والتّضييق عليهم، حيث كانت الزنزانة الّتي ينزل فيها حسن الحداد موسومة «(برقم7) عنبر ج تضم أصحاب الأفكار والأحزاب والمذاهب (أصحاب الرأي) الّذين يشكلون خطرا على النظام»[2] حتى تقسيم أماكن السّجن وتخصيص البعض منها لسجناء الرّأي يؤثر بالسّلب على نفسيتهم، مما يزيد من حدة معاناتهم «إماتت الشّعور بالفردية فشعور الفرد بذاتيته أمر ملازم للحياة الاجتماعية العادية خارج السجن، ولكن هذا الشّعور بالفردية سرعان ما يفتقده التّنزيل، ومن مظاهر انعدام الشعور بالذاتية في السجن ارتداء الزي الموحد وطريقة الحياة الموحدة داخل الزنازين، وتناول نفس الطعام مع نفس الأشخاص في نفس المواعيد، بل تنعدم الخصوصية في قضاء الحاجات الطبيعية من بول وغائط ناهيك عن أن السجين عادة ما يرمز إليه برقم يكون هو أساس التعامل معه»[3] فالإنسان يحب أن يتمتع بفرديته وأن يكون متميزا عن غيره وهذا أمر طبيعي في حياة الإنسان فهو بطبعه يحب التغيير.

إنّ العيش على نفس الوضع وملازمة نفس الوتيرة يجعل الشخص في حالة ملل واكتئاب وفقدان الرغبة في الحياة، فكيف بسجين يعلم بأنّه محكوم عليه بمدة زمنية معينة خاضع للرقابة المشددة وانعدام الراحة النفسية وغياب حقه في أن يعيش خصوصيته بمفرده، وقد التمسنا دليلا حيا في الرّواية صرح به السجين حسن الحداد قائلا: « يوجد وعاء دائري من البلاستيك به بقايا فضلات البشر نتنة الرائحة (...) وبجوار الوعاء توجد زجاجة بلاستيكية ممتلئة للنصف تستخدم لأغراض الشرب والاستنجاء معا!!» [4] و هذا يعكس لنا مدى قذارة هذا السجن ومدى معاناة السجين، فهم جعلوا السّجين في منزلة البهائم، فأين هي منظمة الحقوق الإنسانية؟! أين هم

---

[1]– محمد شوقي، حورية في السّجن، ص26.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– محمد شحاتة ربيع وآخرون، علم النفس الجنائي، ص361.

[4]–المصدر نفسه ، ص113.

المسؤولون عن مراقبة أوضاع السجون؟! فعن أي نظام وعدل يتكلمون؟! ليس هذا فحسب فحتى السّجين أصبح ينتظر أن تقذف له لقمة عيش لعله يسكت صرخة نفسه الّتي تستغيث من شدة الجوع، حيث «شعر بجوع شديد (...) لم تنزل بطنه لقمة (...) أيتركونه حتى يموت جوعا!! (...) ظلّ ينتظر على أمل أن يأتي أحدهم بالطعام والماء ليسد ريقه ويروي عطشه قائلا: أيعقل أن تقذف الرحمة في نفوس هؤلاء؟ أم أن الرحمة نفسها تستحي من الاقتراب منهم؟!»[1] أي سجن هذا؟ حتى السجين أصبح يعيش على أمل ضئيل أن يجد ما يأكله بدلا من أن يعيش على أمل وهو ينتظر ساعة الإفراج عنه، أو صدور أمر بالعفو عن أصحاب الرأي، لكن عن أي أمل نتكلم؟! فالسّجين السياسي أصبح فقط يتمنى أن يجد ما يأكله (...) و ها هي أمنيته تتحقق حيث «(...) وجد أمام كل باب زنزانة أرغفة الخبز ملقاة على الأرض بعشوائية وبجوارها فارغة الفول مقلوبة وقطرات الزيت تلمع (...) كما بعثرت حبات الطماطم حتى تدحرجت لمنتصف الممر!!»[2] وهذا دليل على عدم احترام المساجين وعدم الاكتراث لأمر صحتهم الجسمية، فكيف بأكل مرمي على الأرض ! لعل إدارة السجن لا تخشى من وجود ميكروبات وجراثيم وأن يصاب المساجين بتسمم غذائي قد يكون سببا في هلاكهم، غير أن مؤسسة السّجن لا يهمها مثل هذه المشاغل فهي في غنى عنها كل ما يهمها ألا ينقطع نفس السجين !!

إنّ حرمان السّجين من الأكل في جو لا تسوده النّظافة والمراقبة الصّحية وإتباع نمط غذائي معين يعتبر أقل عقوبة تسلط عليه! فحتى حقه في البقاء مع أهله في أوقات زيارته بكل أريحية أصبح حلما بعيد المنال، وهذا ما لاحظناه في الرواية حيث تشدد الرقابة على المسجونين وأهاليهم في وقت الزيارة، والجلوس معهم رغما عنهم لسماع الحديث خوفا منهم من محاولة التخطيط للهروب من مؤسسة السجن، وتركيز النّظر على كل صغيرة وكبيرة تحصل وقت الزيارة، فهم يدعون تطبيق القانون والالتزام بما تمليه عليهم مؤسسة السجن، هؤلاء الذين لا

[1]– محمد شوقي، حورية في السّجن ، ص114.

[2]– المصدر نفسه، ص127.

يختلفون كثيرا عن الشاويشة منال والّتي كانت صارمة في تفتيش مريم لكن هذه الأخيرة أعطتها مالا حتى لا تتعدى حدودها الأخلاقية في تفتيشها وتمس بكرامتها، وبالتالي تسمح لها برؤية أخيها حسن الحداد[1]؛ بحيث لا يجد السّجين الفرصة الّتي تسمح له بالتواصل مع أهله أو البقاء معهم لتمضية بعض الوقت على انفراد، نظرا للمراقبة المسلطة عليهم، وبالتالي «فإنّ فراق السّجين لأحبابه من الأبناء والزوجة لهو أمر يبعث على الألم، وقد يخفف من هذا الألم الاتصالات بين السّجين وأهله والّتي تتم على صورة زيارات أو خطابات، ولكن يقال من جهة أخرى أنّ هذه الخطابات والزيارات تزيد من آلام السّجين وتجعله يجتر ذكرياته عن حياته خارج الأسوار، هذا إلى ما قد يصل إلى السّجين من أخبار يشوبها الخلط والغموض عن أفراد أسرته وما يتعرضون له من متاعب ومضايقات... وذلك كله يزيد في حدة الأثر إذا كان السجين هو عائل الأسرة»[2]، ومن هذا نستنتج الآثار الإيجابية والسلبية الّتي تنتج عن زيارة الأهل للسجين لأنّ هذا الأخير يتحول إلى إنسان ضعيف المقاومة نظرا لكثرة الضغوطات النّفسية المسلطة عليه وبالتّالي فمعاملته ينبغي أن تكون خاصة تحسبا لأي كلام قد يزيد من معاناته الداخلية، إلّا أن هذا الكلام تغفل عنه إدارة السجون، أو بالأحرى فإنّها تتعمد الإساءة إليه إلى أقصى الحدود وبأبشع الطرق متجاوزة في ذلك كل حدود الأخلاق واحترام الذات الإنسانية، متجاهلة أثر الإساءة وما ينتج عنها في حق السجين، وحتى نسلط الضوء على ما حدث داخل السجن كان لابد علينا من الإشارة إلى حادثة وقعت حتى نتعرف على النتائج الوخيمة التي نتجت عنها:

أثناء زيارة مريم لأخيها حسن وقعت مشكلة كان سببها أن أحد الحراس رأى امرأة تعطي لسجين شيء ما... فجأة حدث هرج وضجيج داخل، سارع أحد المخبرين وأغلق كل المخارج في أماكن الزيارة حتى لا يحاول أحدا الهروب ووسط هذا الزحام وقع شجار مع أحد المساجين والمخبرين، فترجل حسن مدافعا عن السّجين المظلوم، لكن لسوء حظه فقد تعرض للإهانة

[1]- محمد شوقي، حورية في السّجن، ص88- 89.

[2]- محمد شحاتة ربيع، جمعة سيد يوسف وآخرون، علم النفس الجنائي، ص362- 363.

والضرب من قبل الحراس[1]، فتدخلت أخته مريم تتوسل إليهم قائلة: «أرجوك سيبه، صرخت... بكت، خلاص حرام عليكم»[2] فنجد أنّ حسن لا يرضى الظلم وأراد أن ينصر السجين المظلوم لكن الطغاة جعلوه يدفع ثمن ارتجاله وتدخله فيما لا يعنيه، ونجد أخته مريم تتوسل راجية منهم أن يتركوه دلالة على حالة الضّعف الّتي آل إليها كل من حسن ومريم والسجين المظلوم عمر.

اتخذت إدارة السجن إجراءات حول ما فعله حسن الحداد وعمر من ضجة داخل السّجن وحتى يعاقب كل منهما قاموا بعزلهما من أجل تسليط العقوبة ضدهم وأي عقوبة؟ لم تخطر على بال حسن الحداد فقد قال لهما أحد الحراس المسؤولين على معاقبتهم «يلا يإبن(...) أنت وهو اقلعوا هدومكم ... عاوز أشوفكم زي ما أمكم ولدتكم (...) بسرعة يا أولاد (...) قام حسن وخلع ملابسه كاملة وبالمثل فعل الآخر (...) صرخ المخبر وشكم للحيط»[3]؛ أي انحطاط وصلت إليه مؤسسة السجن!! فقد تجاوزوا كل حدود الأخلاق وانعدام الاحترام، ألهذه الدرجة يهان السجين؟ أين هي كرامته يداس عليها والصمت والضعف يعتري نفسه، وهل المساس بكرامة السّجين يدخل في إطار العقوبات المفروضة عليه أم أن مؤسسة السجن تستمع برؤية السجين وهو في هذا الموقف الحرج والقدر؟ أسئلة كثيرة تراود الذهن... والأمر الغريب أين هي المنظمات الّتي تدافع عن حقوق السجين؟ هذا الأخير الّذي تحمل عقوبات مضاعفة يزيد حجمها عن الذنب الذي ارتكبه.

وكأي مؤسسة لابد من مرور المسؤولين لتفقد الوضع، وهذا ما التمسناه في هذا السجن حيث ذهب رئيس المباحث ليراقب ما حدث فوجد حسن وصديقه عمر في ذلك الوضع المحرج، فاقترب منهما متجاوزا كل حدود الاحترام من سب وشتم وضرب كلاهما في مناطق حساسة من الجسم[4] لكنه لم يكتفي بهذا، بل أعطى أمرا بإدخالهم السجن الإنفرادي وتشديد العقوبة عليهما[5]، محاولين

---

[1]- محمد شوقي، حورية في السجن، ص93، ص94.

[2]- المصدر نفسه، ص94.

[3]- المصدر نفسه، ص95.

[4]- المصدر نفسه، ص95-96.

[5]- المصدر نفسه، ص97.

بعد تلك الإهانات والتعذيب إزالة أثر الجروح ! ليس حبا فيهم أو شفقة عليهم، وإنما تحسبا لأي إبلاغ قد يصدر في حقهم من قبل أهالي المسجونين[1]، وبعد كل ما يراه السّجين داخل هذه المؤسسة العقابية فإنّ شخصيته تتغير إلى الأسوء ومعاناته تزيد أكثر وأكثر، وهنا «تفقد السجون هدفها الإصلاحي والعقابي معا وتصبح مدارس لتفريخ مجرمين يخرجون من السجون وهم أكثر دراية بعالم الجريمة بعد أن صاحبوا المجرمين واستفادوا من خبراتهم و يا لها من خبرة»[2]، لكن مؤسسة سجن وادي النطرون تغفل عن هذه الرؤية النفسية العميقة في حق نفسها كمؤسسة وفي حق السجين كفرد ممكن إصلاحه وتغييره للأحسن، وبعد دخول حسن الحداد السجن الانفرادي هاهي المعاناة النفسية تزداد أكثر تعقيدا، وقد عمد السّجين السياسي على وصفها وصفا دقيقا حتى يستطيع القارئ أن يتخيل حقيقة المكان الذي عانى داخله السجين، فقد «تأمل حسن هذا القبر الموحش!! لم يبالغوا حين نعتوه بالقبر(...) زنزانة طولها متر ونصف وعرضها لا يزيد عن خمسين سنتيمتر، إرتفاع السقف يبدو شاهقا على بعد ستة أمتار من الأرض !! أرضية مدببة من بلاط إسمنتي مكسر»[3]، ونلاحظ من خلال هذا الوصف الدقيق لزنزانة أن السجين السياسي أراد أن يصور لنا معاناته الحقيقية، فكيف للإنسان أن يبقى في مكان مثل هذا! وما يزيد الحالة النفسية أكثر سوء أن السجين بأخذ أقصى العقوبات، ليس لفعل إجرامي ارتكبه وإنما لدفعاه عن حقه وحق أمثاله من النخبة المثقفة، غير أنه أمام حقيقة مرة يصعب تقبلها وهي أن مؤسسة السّجن تتفنن في تعذيب أصحاب الرأي، ومن البديهي أن تكون حالة السجين في الزنزانة الانفرادية صعبة وقد ينجر عنها اضطرابات نفسية كالقلق «شعور عام غامض غير سار يتوقع الشر أو توقع وحدوث الأمور غير السارة بوجه عام، ويصاحب ذلك قدر كبير من التوتر

[1]– محمد شوقي، حورية في السّجن ، ص97، ص98.

[2]– محمد شحاتة ربيع وآخرون، علم النّفس الجنائي، ص366.

[3]– المرجع نفسه ، ص113.

والضيق»[1]، وهو حالة نفسية مرضية تنتج عن حالة الوضع الذي يعيشه السجين بالإضافة إلى ذلك يتعرض السّجين إلى الاكتئاب وهو «في أبسط مظاهره حالة انفعالية يصاحبها العديد من المظاهر مثل الشعور بالتفاهة وعدم الأهمية(...) كما يتميز الاكتئاب بنظرة سوداوية للحياة والمستقبل وغزارة الأفكار التي تدور حول الموت والانتحار»[2]، كل هذا ينتج عن الاكتئاب النفسي ومن خلال ما تم توضيحه بخصوص هذه الحالة المرضية فإن نتائجها وخيمة على حياة الفرد فما بالنا بحياة سجين يفتقد لنسمة أمل، وكل يوم تزداد المعاناة الداخلية للسجين في« مقابر الأحياء(...) استغاثات لا يسمعها أحد، ظلام لا تقربه شمس سوى ضوء زهيد يبثه مصباح معلق في الردهة الخارجية(...) كان حسن خلف باب الزنزانة واقفا يسترق السمع فأفرغه صوت مزلاق الباب(...) إرجع ورا ووشك للحيط(...) ومش عاوز كلام! استجاب حسن للأمر في الحال (...) ثبت عصاه في الحائط، حائلا لمنع حسن من التحرك للأمام(...) تفتيش دوري يحدث يوميا (...) للتأكد من أن السجين ما زال حيا (...) كأنهم يخافون عليه من الموت!! [3]» وهذا يدل على المعاملة السيئة التي يعامل بها المساجين، فحتى السجين ليس له حق في الكلام ومنعه من التحرّك تحسبا تصرف قد يصدر عن السّجين كمحاولة منه للفرار وهذا يعكس لنا مدى التفكير السلبي الذي يتبناه هؤلاء اتجاه المساجين، فأي قوّة لازال يتمتع بها السجين حتى يقدر على الفرار؟! وبعد مغادرة الحراس للسجن الانفرادي، ظل السجين حسن الحداد يتأمل هذا المكان «إنه مكان مخيف وكيف للمرء أن يعيش هنا، كيف يطلب المساعدة؟ (...) كيف هي أحوال مريم ما الذي حدث لها الآن؟ هي مشاعر متضاربة بين خوف من المكان وبين قلق على أخته مريم فلا أحد لها إلّا حسن، وكيف هي أحوال عمر؟»[4] وهنا نلتمس مدى خوف النزيل من وحشة المكان ومدى توتره على حال أخته الوحيدة وصديقه عمر الذي كان بجانبه في الزنزانة الانفرادية وهذا

---

[1]– محمد شحاتة ربيع وآخرون، علم النّفس الجنائي ، ص367.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– محمد شوقي، حورية في السجن، ص110، ص111.

[4] المصدر نفسه ، ص111–112.

أيضا ينعكس بالسلب على حالة السجين «فسوف يصاب بالحيرة والارتباك بسبب غيابه وانقطاعه عنهم، مما يؤدي إلى تفاقم الشعور بالمرارة عنده(...) ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن السجين يشعر أنه لا حول ولا قوة له على مساعدة أسرته، وما قد تتعرض له أسرته من صعوبات مثل ضائقة مالية (...)، بحيث يمكن القول أن الايداع بالسجن هو عقوبة تقع على السجين ولكن آثارها الجانبية تطال أسرته جميعا»[1]، فالسجين وعائلته لا يسلمان من مخالب مؤسسة السجن، فإذا كان السجين يتعرض لتشريح نفسي بفعل مخالبها فإن أسرته تتقاسم معه أثر المعاناة، فيكون كل منها ضحية لممارسات استبدادية ظالمة.

من منا لا يعرف بأن بعض المؤسسات تكون عبثية في تسير وإدارة شؤونها، وبالتالي فهذا أمر لا يختلف عن مؤسسة السجن وقد التمسنا دليلا يشهد على ذلك في روايتنا التي تنشغل عليها، وذلك حين وجه المأمور كلامه لرئيس المباحث وأخبره بأنه هو من يقرر مدة بقاء السجين في التأديب بعد أن يعيطه التذكرة وإذن التأديب[2]، نلاحظ من خلال ما تم الاشارة إليه العبثية التي يتصف بها المأمور ورئيس المباحث في تحديد مصير السجين، هذا الأخير الذي يعد الثواني بكامل صبره منتظرا ساعة الفرج، غير أنه لا يعلم حقيقة المصير المجهول الذي يواجهه وهذا يعكس لنا أيضا قلة المسؤولة من قبل إدارة السجن.

إن هذه الرواية حافلة بالأدلة التي تثبث عبثيتهم وقلة اهتمامهم ومن بين الحوادث التي وقعت في السجن دخول صديق حسن الحداد إلى السجن الانفرادي كما تم الاشارة إلى ذلك مسبقا وتعرضه لمعاناة كانت أن تؤدي بحياته للموت فقال المأمور للمسير: «هو الدكتور ما جاش ليه لحد دلوقتي... عاوز يشوف الواد دا ويكتب لي تقرير ويمضي عليه النهارده إن حالته تسمح بالتأديب... أنا عندي واحد ميت من يومين! وواحد النهارده بيموت في المستشفى وكمان

[1] محمد شحاتة ربيع وآخرون، علم النفس الجنائي، ص363، ص364.

[2] محمد شوقي، حورية في السّجن ، ص117.

سياسي»[1] فحتى السجين وهو في حالة حرجة بسبب العقوبات المسلطة عليه إلا أن المأمور بكل قسوة يريد أن يراه الدكتور حتى يكتب له إذن بمواصلة التأديب! فأيّ مشاعر إنسانية يحملها هؤلاء؟.

في أغلب الأحيان تلجأ إدارة السجون إلى ممارسة الضغط كوسيلة لتحقيق مطالبها، «وبعد فشل المأمور في الوصول إلى الدكتور المخصص لفحص المساجين ذهب المخبر لدكتورة هبة قائلا لها: رئيس المباحث بعتني لدكتور ياسر علشان يجي معايا التأديب، ويفحص حالة هناك، وهو دلوقتي مش موجود، والمأمور متعصب جدا وعاوز تقرير الحالات النهارده، فرئيس المباحث يعين لحضرتك»[2] وهنا نلاحظ رغبة رئيس المباحث وإصراره على ضرورة كتابة إذن بتأديب المسجون، لكن الغريب أن يطلب ذلك من الدكتورة هبة المختصة في طب الأسنان! فأجابته قائلة: «أنا دكتورة أسنان! ومينفعش أكتب تقرير عن أي مسجون ولازم دكتور ياسر هو اللي يروح. أجابها قائلا: رئيس المباحث قالي ان حضرتك لازم تروحي دلوقتي»[3].

أجابته قائلة: «دي مش شغلتي(...)، قال لها وهو يحدق فيها بجدة: إنتي عالرفة كويس جدا محدش هنا بيقول لأ، أجابته: وياريت حضرتك برده تراعي أني دكتورة هنا مش سجينة»[4] وهنا نلاحظ الضغط الذي يمارسه المخبر على هبة وجبرها على كتابة تقرير مزور، بالرغم من أنها ليست مختصة في كتابة تقارير عن الحالة الجسمية للمساجين، كما نلاحظ أيضا محاولة العنصر الذكوري فرض وجوده إثبات ذاته على حساب العنصر السنوي، متجاوزا في ذلك حقيقة القانون الذي يدعى تمثيله في مؤسسة السجن.

ورغم رفض الدكتورة هبة إلا أن المخبر لم يستسلم، بل إلتزم بموقفه المتمثل في جبر هبة قائلا لها: «المخبر هيعدي عليكي دلوقتي وهياخدك تروحي تشوفي النزيل وترجعي تكتبي التقرير

---

[1]– محمد شوقي، حورية في السّجن ، 118–119.

[2]– المصدر نفسه ، ص120.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– المصدر نفسه ، ص121.

وياريت الكلام ده قبل الساعة أربعة(...) وبرده هتدخلي وتخرجي من الباب الخلفي علشان محدش يلاحظ حاجة»[1].

إن الكلام الذي قاله المأمور دلالة على القوة والعنف الذي تمارسه إدارة السجون ضد الضعفاء، هؤلاء الذين يدافعون عن كلمة الحق وليس لهم إلا الحق، ويخافون من يوم لا ريب فيه.

بعد الأدلة المقتبسة من الرواية والتي تشهد على معاناة المساجين السياسين داخل سجن وادي النطرون وبعد الاجتهادات المتواضعة منا في تحليل تلك المعاناة، أردنا الاشارة إلى بعض الدراسات النفسية حول معاناة المساجين، كتدعيم لما تطرقنا إليه سابقا.

وكثيرا ما يعاني المساجين من العزلة والوحدة داخل السجن حيث «عرف العديد من الباحثين الاغتراب النفسي على أنه مصطلح يستخدم بمعنى شعور الفرد بالانفصال عن الآخرين أو عن الذات أو كليهما، أي بين الفرد والأشياء المحيطة به، وبين الفرد والموضوع، وبين الفرد والمجتمع»[2] وهذه نتيجة حتمية تصيب السجين بسبب المكان المعزول الذي جعله يحس بالوحدة، وانفصاله عن المحيط الاجتماعي الذي كان يعيش فيه وهذا سبب من الأسباب التي تزيد من معاناته.

وإذا أردنا تسليط الضوء على المعاملة داخل السجون فإن أغلب الحراس يمارسون العنف ضد المساجين، حيث «يمكن أن تؤثر سوء المعاملة داخل السجون على الصحة النفسية للنزلاء ومثال ذلك العنف الذي يتضمن العنف الجنسي والتنمر والتحرش وتشويه السمعة والتمييز والإهانة التي

[1]– محمد شوقي، حورية في السّجن ، ص121، ص122.

[2]– الطاوس شاقور، الاغتراب النفسي لدى الشباب المجرم دراسة ميدانية مقارنة بمؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالبرواقية، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير في علم النفس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة 2014–2015، ص36.

تجرد النزيل من إنسانية التي قد يمارسها الموظفون»[1]، ولعل خير دليل على هذا الكلام الأدلة المشار إليها سابقا حيث تلقى حسن الحداد أبشع العقوبات وخصوصا في السجن الانفرادي وبالتالي فسوء المعاملة تأثر بالسلب على نفسية السجين حيث تدخله في حالة اكتئاب وفقدان الثقة والخجل من نفسه خصوصا إذا تعلق الأمر بالعنف الجنسي عاشه السجين حسن الحداد عندما أمروه بخلع ملابسه، ضف إلى ذلك الإهانة التي يتعرض لها السجين والتي تفقده الرغبة في العيش، وهذا ما يؤدي ببعض المساجين إلى الانتحار بعد فقدان السيطرة على الأعصاب أو النفس.

إن معاناة السجين وتعرضه والحرمان يتسبب في تخزين كم هائل من المكبوتات هذه المكبوتات لا يظهر تأثيرها إلا بعد مرور السنوات «ويقنع الكثيرون من الناس سواء كانوا من العاملين أم غير العاملين في الأوساط العلمية، بالافتراض أن الشعور هو وحدة قوام النفسية كلها (...) مع ذلك يتفق رأي الجميع على أن السيرورات الشعورية لا تشكل سلسلة متصلة مكتملة وهذا ما يوجب التسليم بوجود سيرورات فيزيقية أو بدنية مصاحبة للظاهرة النفسية»[2].

غالبا ما تكون نتائج سوء المعاملة وخيمة جدا على المساجين، حيث يتعرض لجملة من الأمراض النفسية «فيبدأ المرض باضطراب أساسي في العاطفة فإما يكون انحرافا شديدا نحو الحزن، أو نحو المرح، إذن يتميز هذا المرض بتعاقب فترات من الاكتئاب مع فترات من الهوس فهو اضطراب مزدوج يجتاح المريض في صورة نوبات متناقصة تجعل سلوكه مختلفا من حالة لأخرى»[3] أي أن إصابة السجين بهذا المرض يجعله يفقد توازنه النفسي، بحيث تصبح حالته

---

[1]– شارون كريتوف، أوليفيا روب، الصحة النفسية في السجون– دليل إرشادي موجز للعاملين في السجون، تر: مكتبة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي، عمان، الأردن، د.ط، أفريل2018، ص16.

[2] – سيغموند فرويد، مختصر التحليل النفسي، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباع و والنشر، بيروت، لبنان، ط2 مارس1986، ص22–23.

[3] – الطاوس شاقور، الاغتراب النفسي الاجتماعي لدى الشباب المجرم –دراسة ميدانية مقارنة بمؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالبرواقية، ص103.

النفسية غير مستقرة ويعيش حالة تذبذب نفسي مستمر، إلا في حالة مراجعته لطبيب أخصائي حيث يساعده هذا الأخير على معالجة مرضه النفسي، وهذا أمر ينعدم في مؤسسة السجن ونادرا ما يراجع السجين الطبيب النفسي في حالة ما إذا حاول الإنتحار فتتدخل مؤسسة السجن فورا قبل ارتكاب جريمة في حق نفسه، ليس خوفا عليه، إنما خوفا من العقوبات التي ستتعرض لها هذه المؤسسة.

إن تقيد السجين وحرمانه الكلي من ممارسة أي نشاط أو عمل شخصي يجعله عرضة لأمراض نفسية خطيرة، ليس هذا فحسب بل يتحول إلى شخص عدواني حيث «تؤدي العزلة المستمرة للفرد إلى إقصائه (...) وشعوره بعدم الانتماء ومعايير مخالفة، كما يفقده اندماجه النفسي مع الآخرين وتجعله عرضة لاضطرابات نفسية وعقلية»[1] وهذا يتعارض مع مقولة الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فكيف له أن يعيش في عزلة طويلة الأمد إلى غاية انقضاء مدة عقوبته.

بعد أن رصدنا جملة من المعاناة النفسية للمساجين، أردنا تسليط الضوء على محطة أخرى أردنا من خلالها معرفة كيف يستطيع السجين أن يعيش كل هذه المعاناة القاسية بمفرده وما هي الحلول البسيطة التي يتخذها للتخفيف من ألم وحدته، فبعد مكوث طويلة استطاع حسن الحداد أن يجد ما يؤنسه داخل زنزانته الانفرادية، حيث «أمسك بأداته الساحرة مرة أخرى ورسم (...) رجل طمست ملامحه، على رأسه كاب وفي يمناه سوط وبيسراه فتاة يضغط على رأسها لتركع !! وفي خط المواجهة فارس على حصان صوب رمحه باتجاه الرجل وكتب فوق الرمح "لن تركع أم لها أولاد" رسمة عبر بها عما بداخله، ثم رسم حولها إطارا و زينه بخطوط صغيرة مائلة (...) و لم ينسى أن يزينها بتوقيعه المميز حسن الحداد»[2].

---

[1] –المرجع نفسه، ص103،ص103.

[2] – إدريس محمد جرادات، الخربشات والرسوم من طرق التفريغ النفسي ضمن الموقع الإلكتروني:
https://www.diwanalarab.com،26/5/2021 . 13:36

نلاحظ من خلال هذا الرسم أن حسن الحداد أراد أن يعبر عما بداخله، هذه النفس التي تأبى الظلم تمقته، مؤكدا على حقيقة مفادها أنه مهما مارس الظالم استبداده و استغلاله بشتى وسائل الضغط والعنف إلا أن هناك نفوس لا تعرف معنى الاستسلام هذه النفوس التي شحنت بشرارة الصبر على الظلم ومجابهته، مصرة على اثبات شجاعتها متحملة في ذلك كل النتائج الوخيمة التي قد تتعرض لها غير أنها لا تتحمل أن يداس على كرامتها.

«(...) ومن خلال الرسم يتم التعبير عن الحالات الانفعالية والذهنية وما فيها من ضغوطات وتحديات ومزاجات فكرية ونفسية وطاقات كامنة وتفريغها على خامات وسطوح مختلفة، بهدف إراحة النفس وإمتاعها والترفيه عنها ودفعها للتكيف مع الواقع المعاش، أو التمرد عليه، وانتقاده حينا أخر» ، أي أن الرسم وسيلة للإفراغ النفسي، فعادة ما يلجأ اليه الانسان من أجل احداث التوازن النفسي، في حالة ما اذا لم يجد من يستمع إليه أو من يحسن فهمه، كما يعتبر وسيلة للتخلص من الشحنات السلبية التي تعتري نفس السجين، وتقلل، من توتره، لهذا يعبر الرسم نشاط فكري نفسي إبداعي ونظرا لمدى أهمية الخربشات أو الرسم في حياة الإنسان كان علينا أن نشير إلى بعض إيجابياته في حياتنا وهي كالآتي:

أن الفن عموما والرسم خصوصا هو وسيلة يستطيع الانسان من خلالها التعبير عن هويته الثقافية، التي تحمل ملامح مجتمعه هذه الهوية التي طمست بفعل كبت الحريات، ونظرا لهذا الكبت فإن الإنسان يلجأ للرسم كتعبير صامت بدلا من الكلام، لكن في العادة ما يحمل الرسم رسالة عميقة المعنى لا يفهمها إلا من كانت له نظرة عميقة اتجاه هذا الفن.

– الفن (الرسم) هو الوسيلة الأنجع التي يستطيع الإنسان التعبير من خلالها على كل ما يريد دون تعرضه للسجن، خصوصا أن كل شخص يفسر الرسم بحسب وجهة نظره الخاصة.

– الرسم هو وسيلة تساعد الإنسان على التفريغ النفسي، لكل تلك الضغوطات النفسية التي يعاني منها.

– يساعد الفن عموما والرسم على وجه الخصوص على إبدال المعاناة النفسية السلبية بأفكار ومشاعر ايجابية وبالتالي هو علاج نفسي فكري إبداعي (...) وغيرها من الفوائد النفسية التي يحققها الفن في حياة الإنسان[1].

«تبقى الكتابة الجوارية من أهم الظواهر التي ما زال يعتريها الكثير من الغموض، خاصة في وقتنا الحالي مع تعدد مواضيعها، وانتشارها تقريبا في كل مكان، في الشوارع والمحطات والمؤسسات باختلافها(...) حتى السجون، أصبح ممارسوها يعتمدون عليها في الكثير من المناسبات لتبليغ رسائلهم بطريقة مشفرة أو صريحة »[2].

**4-بعض الاجراءات المقترحة في كيفية تعامل موظفي السجون مع المساجين :**

بعد أن تطرقنا إلى معاناة المساجين داخل السجن وكيف كان موظفي سجن وادي النطرون يعاملونهم، كان علينا أن نبذل جهد بسيط ومتواضع في الإشارة إلى بعض الحلول أو الاجراءات التي ينبغي أن يتبعها موظفي السجن في تعاملهم مع نزلاء السجن ومن بين هذه الإجراءات ما يلي :

«يتضمن عمل موظفي السجن دور الوقاية من الاعتلال النفسي والتحقق من عافية النزلاء ومن الممكن أن الطريقة التي يتعامل بها الموظفون مع النزلاء في الوقاية من الاعتلال النفسي أو التسبب به أو تفاقم أعراضه»[3] أي أن السجان لا بد أن يلعب دورا ايجابيا يساعد على اصلاح السجين بدلا أن يزيد من معاناته، ويكون ذلك بمد يد لهم، سواء بطريقة مباشرة أو غير

---

[1]– إدريس محمد جرادات، الخربشات والرسوم من طرق التفريغ النفسي ضمن الموقع الإلكتروني:
https: // www diwanalarab. com ، 26/5/2021سا13:26

[2]– كنزة جبار، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية –دراسة ميدانية لعينة من الطلبة الجامعيين بجامعة الحاج لخضر باتنة–، مناني نبيل، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجيستير في علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014/2013، ص120.

[3]– شارون كريتوف، أوليفيا روب، الصحة النفسية في السجون دليل إرشادي موجز للعاملين في السجون، ص16.

مباشرة و هذا يساعد على حمايتهم من الأمراض النفسية التي قد تكون سببا في نهاية حياة السجين.

إن السجان يلعب دورا مهما في مؤسسة السجن، بالرغم من أننا «لا نتوقع من موظفي السجن أن يقوموا بتشخيص الأمراض أو حتى القيام بمهام العاملين في الصحة النفسية، إلا أن استجابتهم في الوقت المناسب حاسمة، حيث يمكن أن يمنع الكشف المبكر والتدخل من قبل الموظفين المسائل من التطور إلى أمراض أكثر خطورة، و قد يساعد ذلك في منع الانتحار وإيذاء النفس»[1] أي أن الأمر الواجب والمطلوب من موظفي السجون الحرص على التدخلات السريعة قبل فوات الأوان، والسعي لحفظ حياة المسجونين، فبالرغم من كون هذا الأخير مجرما أو ما شابه ذلك من القضايا التي يعاقب عليها القانون إلا أن هذا السجين يبقى إنسان ومن واجب مؤسسة السجن حفظ النفس.

بالإضافة إلى ذلك فهناك أمر ضروري وجب الإشارة إليه وهو«عدم معاقبة النزلاء على حوادث إيذاء النفس ومحاولات الإنتحار»[2].

أي أن مؤسسة السجن لا ينبغي أن تعاقب السجين على محاولاته في الإنتحار، بل تسعى إلى معالجة ذلك بأخذه لطبيب نفساني حتى يعالجه بطريقة نفسية علمية.

على مؤسسة السجن أن تقيم بين الحين والأخر حملة توعية للمساجين، وذلك من خلال نشر الأفكار الإيجابية في أوساط السجناء ومحاولة زرع الثقة في نفوسهم، وأنهم أفراد لهم قابلية التغيير للأحسن، بغض النظر عن الفعل الإجرامي الّذي ارتكبوه، و هذا كحل علاجي نفسي يجعل السجين يشعر بأنه فرد صالح في مجتمعه فيبادر إلى ذلك.

---

[1]– شارون كريتوف، أوليفيا روب، الصحة النفسية في السجون دليل إرشادي موجز للعاملين في السجون،ص16.

[2] المرجع نفسه،ص19.

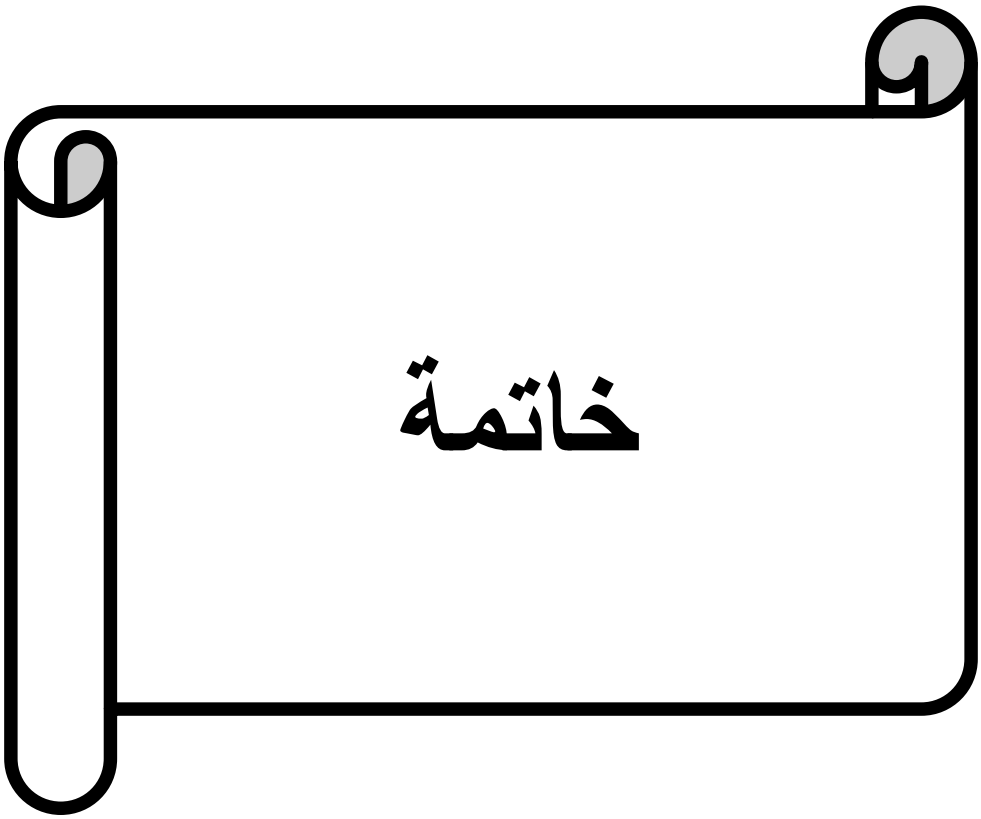
خاتمة

من خلال بحثنا المتواضع، توصلنا إلى مجموعة نقاط ونتائج ندرجها كالتالي:

1- تعد الاضطرابات السياسية زلزلة تمس الحياة بمختلف أصعدتها، ولعلّ هذه الإضرابات تعود لسببين مهمين:

- إمّا بفعل تدخل أجنبي في شؤون البلاد.

- إمّا نتيجة فشل المسؤولين في تحقيق استقرار الوطن، إلّا أنّنا لا ينبغي أن ننسى سببا آخر يمكن أن نعتبره جزءا لا يتجزأ من السبب الثاني، ألا وهو تمرد الشعب على نظامه، هذا الأخير يفشل في إرضاء شعبه، فتكون ثورته نتيجة حتمية اتجاه الواقع البائس الّذي يفرضه النّظام.

2- يعتبر الفضاء في الرواية عنصرا مهما وتمظهره قد يكون مفتوحا او مغلقا، وبالتالي فهو ذلك الحيز الذي يحتوي كل العناصر المشكلة للرواية.

3- السجن كفضاء مغلق ليس دليلا على انه مكان مخصص لتعذيب او فرض عقوبات فالسجن يحمل دلالات اخرى قد يكون مركزا مخصصا للتأديب وإعادة التأهيل، قد يكون الملجأ الذي يحتضن المذنبين هؤلاء الذين يعتبر بقاءهم في الخارج تهديدا لحياتهم، كما يمكن ان نعتبره اداة تساهم في نشر الأمن والاستقرار.

4- قد يكون السجن منبعا تنفجر منه طاقات إبداعية واخرى فنية، والدليل على ذلك شعر مفدي زكريا الثوري والذي كان يحرض الثوار من خلال كتاباته وهو داخل السجن.

5- علاقة المثقف بالسلطة غالبا ما تكون متوترة إلا انها تشكل اقوى ثنائي متعارض يحدثان زلزلة فكرية يحاول كل طرف إثبات نفسه على حساب الآخر وهذا ما يولد التميز.

6- علاقة المثقف بالسلطة لا تعني الخراب كما لا تعني المصلحة الشخصية دائما فأحيانا ما تكون علاقة تهدف إلى محاولة الوصول إلى اهداف نبيلة تخدم الوطن، لكن الاختلاف في الأفكار ووجهات النظر هو ما يجعلها تبدو لنا على انها علاقة جادة ومتوترة على الدوام.

7- رواية "حورية في السجن" حملت في طياتها العديد من الحقائق المزدوجة بأذواق مختلفة والّتي فضحت بكلّ جرأة جرائم النّظام، مصوّرة بذلك معاناة أصحاب الرّأي داخل السجن وسياسته الجحفة في حق الشعب.

8- هي إنتاج أدبي معاصر مزج لنا بين رؤية سياسية وحقيقة المعاناة النفسية، استطاع الكاتب من خلالها عكس قدرته الإبداعية في تصوير الحقائق المقتبسة من واقعه وإضفاء عليها لمسات خيالية، معتمدا في ذلك على أسلوب بسيط.

9- اعتمد "محمد شوقي" في كتابته لهذه الرواية اللّهجة المصرية ما زاد الرّواية تميزا وأكسبها قابلية في نفوس القراء، فمن خلال هذه اللهجة يمكن القول أنّ الكاتب أراد أن يطلعنا على لهجة مجتمعه، في نفس الوقت يكسب القارئ ثراءً فكريا من خلال التّعرف على طريقة كلامهم وبالتّالي فإنّ الرواية تحمل صبغة ثقافية صوّر من خلالها الواقع بحذافيره.

10- في هذه الرّواية نجد أنّ الكاتب كان حريصا جدّا على ذكر الأماكن ودقته في تحديد الفترات الزّمنية الّتي وقعت فيها الأحداث مما يعكس لنا واقعيّة هذه الرواية إلى حدّ بعيد.

11- اعتماد الكاتب على تقنية الوصف الدّقيق لكلّ ما رآه في السجن من أجل أن يضع القارئ في الصورة، ويجعله يتخيل الأحداث كما هي وكأنّه شاهد عيان على كل ما حدث.

12- ابتعاد الكاتب عن الكلام الغامض والمعقد، وعدم تركيزه على الجانب الجمالي كسمة نلمسها في الكتابة الأدبية، لأنّه في الحقيقة ركّز على هدف واحد هو فضح السّلطة وتصوير حقيقة المعاناة الّتي عاشها فكان أسلوب عفوي بعيد كل البعد عن التّصنع، وهذا ما أكسبها قيمة فنية وجمالية.

هذه النتائج تحملنا لطرح التساؤلات التالية:

- ✓ هل صراع النّخبة المثقفة مع السلطة يعدّ إثباتا لذواتهم أمام بطشها أم مطالبة بحقوقهم الشّرعية؟
- ✓ هل من الممكن أن نضع حلولا إيجابية لتسوية العلاقة بين السلطة والنخبة المثقفة أم أنّ الصّراع أبدي؟
- ✓ هل يمكن أن تعلق الشّعوب العربية آمالها على النّخبة للدّفاع عن حقوقها وكرامتها؟
- ✓ هل وسائل ضغط النخبة المثقفة على السلطة تعد الصّلاحية الكافية للظُفر بمطالبها؟
- ✓ هل يمكن لأدب السّجون أن يتخلص من قيود الهامش ويرتقي لمصاف العالمية؟.

وانطلاقا من هذه الأسئلة الّتي سبق ذكرها، نأمل أن تكون سببا في فتح آفاق جديدة لبحثنا المتواضع.

# قائمة المصادر والمراجع

# القران الكريم برواية حفص عن عاصم

# أولا :قائمة المصادر و المراجع

## أ/المصادر

شوقي محمد، حورية في السجن، يسطرون، مصر،د.ط، 2017.

## ب/المراجع

1. ابن تيمية، مجموعة الفتاوي، ج35، دار الوفاء/المنصورة، مصر، ط3، 2005.
2. حزل عبد الرحيم ، الكتابة والسجن حوارات ونصوص، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء/المغرب، د.ط، 2008.
3. خليل محمود إبراهيم ، النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك ،دار المسيرة ،الأردن ط1، 2003
4. داني محمد ،الرواية العربية السجينة دراسة نقدية، د.د، د.ب، ط1، 2016.
5. شحاتة محمد وآخرون ،علم النفس الجنائي ،دار غريب ،القاهرة مصر،ط 8،د ت
6. الصمد واضح ، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت/لبنان،ط1،1995.
7. ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي والعصر العباسي الأول، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة/مصر، ط8، د.ت.
8. طاشمة بو مدين ،مدخل إلى علم السياسة مقدمة في دراسة اصول الحكم ،جسور ، الجزائر ،ط1،2014
9. فرويد سيغموند ،مختصر التحليل النفسي ،تر :جورج طرابيشي،الطليعة ،بيروت /لبنان ،ط2،مارس1986
10. كريستوف شارون وروب أوليفا ،الصحة النفسية في السجون دليل إرشادي موجز للعاملين في السجون ، تر :مكتب الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، عمان /الأردن،افريل 2018

11. كليمان كاترين ،التحليل النفسي ،تر:محمد سبيلا و حسن أحجيج،النجاح الجديدة ،دار البيضاء المغرب د .ط،2004

12. مختار احمد محمد حبيب، تدريس القران الكريم في السجون و دور الملاحظة الاجتماعية، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة /السعودية ،د.ط، 2010

13. نويل جان بيلمان ،الت حليل النفسي و الأدب، تر:حسن المودن،مطابع الأهرام كورنيش النيل ،مصر،د.ط،1997

14. هيكسين بيل وبوليس إميل،فن العلاج النفسي ،تر:معين خويص ،دار علاء الدين ،دمشق /سوريا ،ط2،2003

15. يقطين سعيد ،الأدب و المؤسسة و السلطة نحو ممارسة أدبية جديدة،المركز الثقافي ،الدار البيضاء /المغرب،ط1،2002

**ثانيا: المعاجم**

16. ابن منظور، لسان العرب، مج 13، مادة (س ج ن)، دار صادر، بيروت/لبنان، د.ط، د.ت.

**ثالثا: المجلات**

17. عسكري محمد صالح شريف ، زارع برمي مرتضى ، شعر السجون في الأدب المعاصر –الأعمال الشعرية لحسن السيد نمودجا–مجلة دراسات في العلوم الانسانية، ع1، 2013.

18. أبو حميدة عبد الحفيظ يوسف عليان ، حق السجين في الخلوة الشرعية دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الأردني، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية كلية الشريعة – جامعة الزرقاء، الأردن، ع1، يناير 2012.

19. المالكي عبد الحكيم سليمان ، أدب السجن والسرد الليبي، مجلة شمال جنوب، جامعة مصرانة/ليبيا، ع، يونيو 2016

20. تمعزوزت نعيمة غازلي ، نصيرة طالح، نقد نظرية التحليل النفسي لفرويد وبيان ما يتوافق ولا يتوافق مع المجتمعات العربية الإسلامية، ع27ديسمبر 2016.

**رابعا: المذكرات و الاطروحات**

1. جبار كنزة ، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية –دراسة ميدانية لعينة من الطلبة الجامعيين بجامعة الحاج لخضر باتنة–، مناني نبيل، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجيستير في علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014/2013،
2. شاقور الطاوس ، الاغتراب النفسي لدى الشباب المجرم دراسة ميدانية مقارنة بمؤسسة إعادة التربية والتأهيل بالبرواقية، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير في علم النفس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة 2014–2015.
3. عمر محمد بلال زكرياء ، السجن وموجباته في الشريعة الاسلامية –دراسة مقارنة بنظام السجن في السودان، رسالة مجستار، إشراف عادل محمد الطيب عربي، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2014.
4. قدور سكينة، الحبسيات في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف لخضر عيكوس، قسم اللغة والأدب العربي،كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري– قسنطينة/الجزائر،2007.
5. منصوري علي ، البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة، أطروحة دكتوراه إشراف محمد العيد تاورته، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر –باتنة/ الجزائر، 2008.

**خامسا: المقالات الرقمية والمواقع الإلكترونية**

1. أبو بكر محمود ، 11 فبراير بمصر "مع" و"ضد"، بي. بي. سي، 9 فبراير 2012، جدد في 10 فبراير، ضمن الموقع الإلكتروني، HTTPS://WWW.BBC ; 7/02/2021 ; 11 :00h
2. جرادات إدريس محمد ، الخربشات والرسوم من طرق التفريغ النفسي ضمن الموقع الإلكتروني:

https://www.diwanalarab.com،26/5/2021 . 13:36

حمدونة رأفت، أدب السجون: الخصائص والمميزات، ضمن الموقع الإلكتروني https :lle/jadidelyanmi.dz/2019، 2021/4/15، 20:07.

3. رمضان اسماء، صراع الأدب والسلطة حين تحاكم الأنظمة الاستبدادية، النصوص الروائية ضمن الموقع الالكتروني https://www.noonpo9t.com، 2021/4/28، 18:11.

4. مسلماني فاطمة ، أدب السجون، ضمن الموقع الإلكتروني atknowledgee.net، 2021/4/11، 4:30.

5. مكرم ممدوح ، عن الأدب والسياسة، ضمن الموقع الاكتروني : m.anewa.org، 2021/4/26، 17:29.

# فهرس

# الموضوعات

# فهرس المحتويات


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| **دعاء** | / |
| **شكر وعرفان** | / |
| **الإهداء** | / |
| **مقدّمة** | |
| **توطئة: النّظام المصري وتمظهراته في الانتاجات الأدبية.** | |
| **الفصل الأوّل: السّجن والكتابة.** | |
| **1- السجن والكتابة.** | 11-39 |
| 1-1 مفهوم السجن. | 11 |
| 1-2 معنى السّجين | 15 |
| 1-3 مفهوم أدب السّجن. | 17 |
| 1-4 سرديات أدب السّجن. | 18 |
| 1-5 خاصية الكتابة السجنية | 27 |
| 1-6 علاقة السياسة بالأدب | 31 |
| **الفصل الثّاني: دراسة نفسية تحليلية لترك السّجين في خضم أدب السّجون** | |
| 1- تحديد الشخصيات البارزة في الرّواية والعلاقة الّتي تربط بينها. | 42 |
| أ-العلاقة التي تربط حسن الحداد مع هبة الغراب حسب الرواية | 43 |
| ب-العلاقة التي تربط هبة الغراب بحسن الحداد | 44 |
| ج-العلاقة التي تربط بين مجدي الغراب وهبة الغراب | 48 |
| د-العلاقة التي تربطها مع حسن الحداد | 49 |
| هـ-العلاقة التي تربطه مع حسن الحداد | 50 |

# فهرس المحتويات


| | |
|---|---|
| و–العلاقة التي تربط بين الشاويش مبروك والمسير | 52 |
| 2. مفارقة الفضاء المكاني في المعاناة شاهد أم متهم. | 52 |
| 3– الأدلة التي تثبت المعاناة النّفسية داخل السّجن | 50 |
| 4–1 الإجراءات المقترحة في كيفية تعامل موظفي السّجن مع المساجين. | 64 |
| **خاتمة** | 75 |
| **قائمة المصادر والمراجع** | 77 |
| **فهرس الموضوعات** | 82 |
| **الملخص** | |

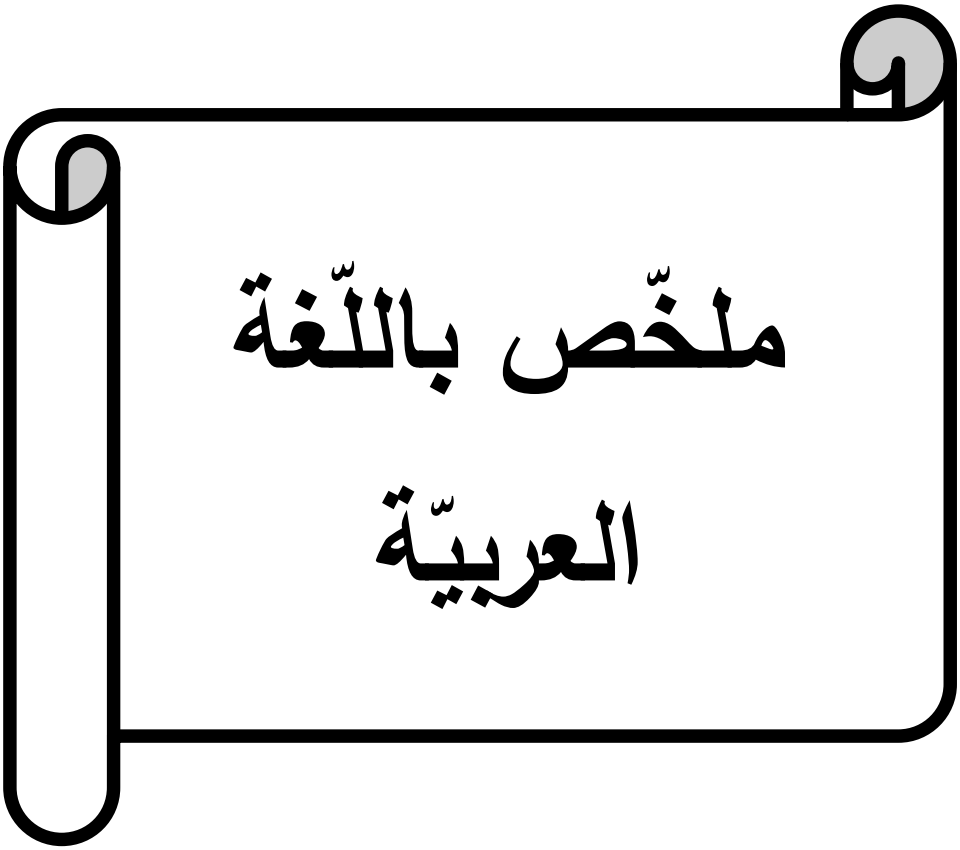
ملخّص باللّغة
العربيّة

**ملخّص:**

بعد حلقات متواصلة من بحثنا نلُخصّ ما جاء فيه:

يُعتبر الفضاء الرّوائي بشقيه، جزء مُهما، لا يمكن تخيّل إنتاج سردي بدونه، حيث كان فضاء السّجن محطة اشتغالنا في رواية "حورية في السّجن" للكاتب "محمد شوقي" والّذي جرت فيه أحداثا شيقة من حيث تطوّرها الدّرامي، وأليمة من حيث الحقائق النّفسية الّتي تمّ تصويرها بدقّة من قبل الكاتب هادفة إلى إبلاغ رسالة أصحاب الرّأي السّياسي، ليكون بذلك الإطار العام لبحثنا موسوما بدراسة "بسيكونقدية".

# ملخّص باللّغة الانجليزيّة

Rèsumè :

Après Des episodes continus de notre recherche, nous resumons :

L espace fictif, avec ses deux parties est une partie importante il est impossible d imaginer une production narrative sans elle ou l espace caerceral était notre  poste de travail dans le roman une nymphe en prison

Ecrit par : mohamed shawky dans lequel des evenements interessants ont eu lieu en termes de leur developpement dramatique et douloureux en termes de faits psychologiques qui ont été decrits par l ecrivain destine a transmettre le message de ceux qui ont des opinions politiques pour que le cadre general de notre reherche soit marque par une etude psycholoqique critique.